وزارة التربية والتعليم

ادارة الشئون العامة

فلسفة الثورة

جمال عبد الناصر

و

دستور الغد

خطاب ألقاه الرئيس
لمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء

تقديم

كمال الدين حسين

وزير التربية والتعليم

مطابع مجلس الخدمات
١٩٥٦

Bibliotheca Alexandrina
01885576

وزارة التربية والتعليم

ادارة الشئون العامة

فلسفة الثورة

جمال عبد الناصر

و

دستور الغد

خطاب ألقاه الرئيس

لمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء

تقديم

كمال الدين حسين

وزير التربية والتعليم

مطابع مجلس الخدمات

١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من السيد وزير التربية والتعليم ، الى السادة المعلمين

اخوانى المعلمين ...

لقد كانت هذه الثورة التى نسير فى أضواء مشعلها منذ عامين ، حدثا عظيما وفريدا فى تاريخ مصر ...

انها فاصل كبير وعميق بين مرحلتين من تاريخنا الممتد فى القدم الى أول أيام الانسيانية المتحضرة على الأرض ، والممتد فى الأمل الى أبعد آماد المستقبل ...

لا سبيل الى انكار هذه الحقيقة بعد ، فان مصر منذ اليوم ، غيرها قبل ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ...

لقد تغير كل شىء فى مصر عما كان قبل أن تشتعل هذه الشرارة المضيئة ، واختلفت الصور والمشاعر اختلافا كبيرا فى مرأى العين وفى احساس النفس جميعا ...

الحاكمون الأجانب الذين كانوا يجلسون على عرش مصر والأنهار تجرى من تحتهم ، قد انطوى تاريخهم فى هذه البلاد ، فنحن الحاكمون والمحكومون فى بلادنا منذ اليوم ، وما تحت

أرجلنا من أرض الوطن ملك مشترك لنا جميعا على سواء ؛ فليس منا ملك وسوقة ...

ذوو الشوارب المفتولة والبطون الممتلئة الذين كانوا يهوون بالسياط على ظهور العمال والفلاحين ليستنبطوا لهم المال يشترون به شهواتهم ، قد ابتلعتهم الموجة أو قد قذفت بهم الى الشواطىء البعيدة ، فليس منهم فى مصر اليوم الا الذين آمنوا بدستور الأخوة ليكدحوا مع الكادحين فى سبيل نفع الجماعة ...

جيوش الاحتلال التى كانت تدنس أرض الوطن وتدب على ظهرها بالنعال النجسة قد حزمت اليوم متاعها وأخذت أهبتها للرحيل الى غير رجعة ...

الجبل الشاهق الأملس الجدار ، الذى كان يحول بيننا وبين تنور الآفاق البعيدة فلا نستطيع أن نزحزحه من طريقنا لنمضى ولا أن نعلو جداره لنرى ، قد انزاح منذ اليوم عن موضعه وانفتح أمامنا الطريق الى الغايات البعيدة ...

العزلة الرهيبة التى كنا نعيش بين جدرانها منقطعين عن اخوة لنا فى الشرق والغرب والجنوب فلا نستطيع أن نمد اليهم يدا ولا أن يمدوا الينا يدا ، قد تهاوت جدرانها فلم يبق بيننا وبينهم باب مقفل ولا جدار قائم ولا سلك شائك ...

المخاوف التى بذر الاستعمار والطغيان بذورها فى نفوسنا فلا ينظر بعضنا الى بعض الا على حذر وتوجس وريبة ، قد حل محلها السلام والأمن والثقة بالمستقبل ...

مستقبلنا اليوم واضح المعالم : أهدافنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية قريبة سهلة المنال ، جونا وبحرنا وأرضنا بكل مافيها من ثروة ومن ثمرات ظاهرة ومستترة ، ملك ايماننا ، نستطيع أن نستنبطها بأيدينا لا بأيدى غيرنا ، ولنفعنا ونفع اخواننا وجيراننا ، لا لنفع المستعمرين والطغاة من حكامنا الأجانب ...

كل هذا صنعته الثورة المصرية منذ ٢٣ يولية سنة ١٩٥٣! ، لتضع به لمصر تاريخا جديدا يغاير تاريخها الذى كان قبل أن تشتعل هذه الشرارة المضيئة ..

هذه الثورة اذن ، هى حدث عظيم وفريد فى تاريخ مصر ، وهى الى ذلك فاصل كبير وعميق بين مرحلتين متباينتين كل التباين من ذلك التاريخ ، وليس من اليسير على كل مواطن يعيش الآن على أرض مصر ، أن يحس هذه الحقيقة احساسا كاملا ، ينفعل به عقله وضميره ونفسه ، وتتأثر به تصرفاته العامة . فان التطور النفسى مع الأحداث الكبيرة ، لايقدر عليه ولا يطيقه الا ذوو النفوس الكبيرة الذين يملكون قوة التجرد فى الحكم على

الأحداث الجديدة والصور الجديدة . ومن أجل ذلك قد يحس بعض الضعاف بالقلق حين يرون اختلاف القيم وتغير الموازين فى الحياة العامة التى يحيونها ، ويقعون فى حيرة من أمر أنفسهم ومن أمر ما حولهم ومن حولهم من الأحداث والناس ، وقد يتساءلون سراً أو جهراً : أين نحن مما كنا ؟ وأين يومنا من غدنا ؟ وأين الأسباب من مسبباتها ؟

هؤلاء الحائرون القلقون ، من حقهم أن نلتمس لهم بعض العذر وأن نصفح عن بعض مايقعون فيه من زلات بغير قصد ، لأنها زلات القلق الحائر الضعيف ، الذى لايعى وعيا ناصحا مدى التطورات التى حوله ، والتى تفرض عليه أن يتطور فى نفسه وخلقه ، ويلبس للمستقبل النظيف ثوبا نظيفا ..

وقد يكون من واجبنا نحن الذين نؤمن بهذه الثورة ونعى أسبابها وأهدافها وعيا صحيحا ، أن نحاول توجيه هؤلاءالحائرين القلقين ، ونقودهم بلطف الى حيث يستطيعون أن يروا بوضوح وأن يحكموا بدقة ، وأن يوازنوا بأمانة وتجرد ..

ولكن عليكم أنتم ، أيها المعلمون ، واجبا آخر ، فان بين أيديكم جيلا ناشئا ، نقيا نقاء الفطرة ، لم يتلوث بعد بأوساخ الاستعمار ، ولم ترسب فى دمه رواسبه ، ولم تثقل على ضميره

مواريث الماضى أوتربطه به روابط منفعة تفسد حكمه ، أو وشائج عاطفية شخصية تلون رأيه ، أو ذكريات قريبه وبعيدة تملأ نفسه قلقا واضطرابا وحيرة .

جيل جديد ، يتطلع لمستقبل جديد ، لايربطه الى ذلك الماضى الا رباط التاريخ ، ولا يتصل به الا اتصال النتيجة بأسبابها العقلية . ولكن كل تلميذ من هذا الجيل ، وهو — مع ذلك — جزء من بيته ، وفرد من أهله ، فى أذنيه بقية من أحاديث يسمعها ، وأمام عينيه صور يراها ، وفى نفسه من هذه الصور ومن تلك الأحاديث أصداء يعيها وينفعل بها ، ولكن أصداء أحاديثكم أنتم ، أبقى أثرا فى نفسه وأعمق غورا ؛ فأنتم معلموه ، وعليكم هدايته وتوجيهه ، أنتم تصنعون له مستقبله ، لتصنعوا به مستقبل وطنه ، فوجهوه برفق الى طريق الحق ؛ واكشفوا له عن الماضى ومآسيه ، وعن الحاضر وأسبابه ، وعن المستقبل وأهدافه ووسائله ؛ ليمضى حين يمضى الى المستقبل على هدى وبصيرة وايمان ، ويعرف أين حاضر أمته من ماضيها ، وأين يومها من غدها ، وأين مكانه هو من أحداث اليوم والغد والمستقبل البعيد ، ثم ليرى كذلك بوضوح ويحكم بدقة ، ويوازن بأمانة وتجرد ، ويتجنب كل ما حوله من عوامل القلق والاضطراب والحيرة ...

وبسبيل من هذا الغرض ، أملى جمال عبد الناصر كتابه «فلسفة الثورة» ، ليكشف عن بعض أسباب الثورة ومسبباتها ، ويلقى الضوء على بعض الأحداث المهمة وما سبقها ، ويحدد بعض أهداف الثورة وغاياتها ، ليكون كل ذلك جواباً عن بعض الأسئلة القلقة الحيرى ، التى تتردد على بعض الشفاه أو تهمس فى بعض النفوس ، فما أحوج المعلمين أن يعوه ، وما أحوج التلاميذ ، ومن أجل ذلك أقدمه بهذه الكلمة الى السادة المعلمين ...

* * *

هو طرف من قصة الثورة ، أملاه جمال عبد الناصر على التاريخ ، كما لايزال يملى على التاريخ من فصول ...

ولكن قصة الثورة فى هذا الكتاب ليست قصة بالمعنى المفهوم ، ترتبط فيها الحوادث وتتساوق حتى تنتهى الى غاياتها كما حدثت فى ظاهر الحياة ، وانما هى القصة كما كانت تجرى فى باطن النفس ، منذ كانت انفعالات ، الى أن صارت فكرة ، الى أن أصبحت تدبيراً وسياسة ، الى أن تجمعت لها عناصر الظهور فبدت للعيون حقيقة من حقائق الحياة الواقعة فى مصر ...

فهى اذن خواطر الثورة لا حوادث الثورة ، وقد كنا الى معرفة هذه الخواطر أحوج منا الى معرفة الحوادث ، لأن الحوادث

يراها ويعرفها كل ذى عين وذى أذن ، فيختلف حكمه لها أو عليها باختلاف نفسه وحسه ووعيه ، وما يناله من نفعها أو مضرتها ، وصلتها به وبمن حوله ممن يرتبط بهم ارتباط المنفعة أو ارتباط العاطفة ، أما الخواطر فشىء فى طيات النفوس مخبوء عن كل ذى عين وذى أذن ، فلا ينفذ الى حقائقها من ينفذ الا بعد أناة وروية وبحث طويل ، والعلم بها — مع ذلك — ضرورى لاكتساب قوة الحكم على الأشياء والحوادث ومحدثيها بنزاهة وتجرد ...

ومن أجل ذلك هى « فلسفة الثورة » لا قصة الثورة ، ولكنها مع ذلك قصة ، وان كانت حوادثها تجرى فى باطن النفس لا فى ظاهر الحياة ...

وهذه القصة فصول ثلاثة ، يختص الفصل الأول منها بالحديث عن بذور هذه الثورة ومقدماتها ...

— هل هى ثورة جمال عبد الناصر وزملائه ؟

— أم هى ثورة الجيش ، حمل رايتها جمال عبد الناصر وزملاؤه ؟

— أم هى ثورة الأمة كلها ، نهض الجيش بأعبائها ودفع رايته الى جمال عبد الناصر وزملائه ؟

ثم ما هى أسبابها ومقدماتها ...

ـ هل هى حرب فلسطين ، وقضية الأسلحة الفاسدة ، وأزمة نادى الضباط ؟ ...

ـ أم هى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وحادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، وتحالف الانجليز وفاروق على قمع روح المقاومة فى الشعب بعد ذلك ؟

ـ أم هى تطور طبيعى للكفاح الشعبى منذ سنة ١٨٠٠ ، الى الثورة العرابية ، الى ثورة سنة ١٩١٩ ، الى ثورة سنة ١٩٣٥ ، الى أن غلت الدماء بعد ذلك بالحوادث المتابعة حتى قذف القدر وعاءها فكانت ثورة سنة ١٩٥٢ ؟

ثم كيف نمت هذه البذور وتفاعل بعضها مع بعض وتطورت حتى بلغت هذا المبلغ ؟ ...

ثم كيف كانت مشاعر الشعب قبل الثورة ، ويوم الثورة ، وبعد أن بدأت الثورة ، ثم بعد ذلك الى اليوم ؟ ...

ثم ما هى صلة ذلك بأخلاق الشعب ، وطبيعته ، وبما ترك الاستعمار والطغيان فى أعصابه وفى دمه من رواسب يتأثر بها حكمه على الأشياء ، وعلى الحوادث ومحدثيها ؟ ...

ثم لماذا تختلف بعض مظاهر الثورة فى مرأى بعض الناس ، فهى حيناً رفيقة لينة ، تؤمن بمبدأ العفو والتسامح ، وهى حيناً

حازمة صارمة ، لا تجامل ولا تحاول اكتساب التـأييد والرضا بالاغضـاء عن بعض السـيئات وعـدم التضييق عـلى بعض الطوائف ؟ ...

وأخيراً ، هل هى ثورة سياسية أو ثورة اجتماعية ؟

هـذه الأسئلة وكثير غيرها ، يجيب عنها الفصـل من فلسفة الثورة ، فيذكر الأسباب ومسبباتها ، ويضع الحقائق عارية مكشوفة تحت المجهر ، ليعرف من شاء كل ما يريد أن يعرف من جواب .

* * *

أما الفصل الثانى فيختص بالجواب عن سؤالين ، هما :

ـ ما الذى تريده الثورة ؟

ـ وما هو الطريق اليه ؟

والجواب عن السـؤال الأول صريح واضح ، لايحتاج الى مزيد من الايضاح ، لأن الذى تريده الثورة ، هو الذى يريده كل مصرى لبلاده ، وهو مصر المتحررة القوية ...

وأما السؤال الثانى فتدور حوله خواطر شتى ، وفى سـبيل تحديد الجواب الصريح الواضح ، يتسلل جمال عبد الناصر وراء خواطره ، فيصف عواطفه ، وأهدافه ، ووسائله للوصول الى هذه

الأهداف ، منذ كان تلميذا فى المدرسة يهتف للجلاء والحرية ، الى أن قاد ثورة الجيش الشعبية ، وهو فيما يصف من مراحل تطوره الفكرى واختلاف وسائله ، كأنما يصف احساس كل مصرى فى كل مرحلة من تلك المراحل ، فهى صور غير شخصية ، لأنها صور معبرة عن الشعور الجماعى العام …

ثم هو فى خلال ذلك التصوير يحاول أن يرد كل تطور فى الفكر أو فى الوسيلة الى أسبابه ، وتمضى به المحاولة الى تتبع أدوائنا الاجتماعية الى أصولها فى التاريخ ، منذ الحروب الصليبية ، الى غارة المغول ، الى عهد سلاطين المماليك ، الى عهد الاحتلال العثمانى ، الى عهد محمد على وخلفائه ، الى اليوم ، وتتكشف لعينيه الحقائق حين يتتبع الصور المتعاقبة على مصر منذ ذلك التاريخ البعيد ، فلا يلبث أن يضع أصبعه على مخلفات الماضى التى ترسب فى نفوسنا فتصنع أخلاقنا العامة وتوجهنا فى الحياة على دستور …

دستور يجب أن تمحى صفحته من تاريخنا ، لأنه يقوم على مبادىء : الخوف ، والضعف ، والأثرة ، والبغى ، وسوء الظن ، والتربص وما يستتبع ذلك من سيئات …

حينذاك تعرف الثورة طريقها لتحقيق ماتريده للبلاد ، وهو ازالة الصخور والعقبات من الطريق ، وهداية القافلة الضالة ...

* * *

أما الفصل الثالث فيحدد الأهداف البعيدة للثورة ...

مصر وحدة ضخمة من وحدات الجامعة العربيه .

ـ مصر بلد من بلاد الكتلة الاسلامية .

ـ مصر جزء من أفريقيا ...

ـ لقد مضى عهد العزلة ، ومصر بما تملك من أسباب العمل ، تستطيع أن تؤدى خيرا كثيرا لنفسها ، وللعرب ، وللمسلمين ، ولجيرانها فى أفريقيا ، وأن تكون بذلك كله ، قوة ذات أثر فى توجيه السياسة الدولية ...

* * *

ان هذا الكتيب الذى يتحدث عن فلسفة الثورة ، أو عن خواطر الثورة ، كما أحسها جمال عبد الناصر فى نفسه وفى كل من حوله ، هو كتاب لابد منه لالقاء أضواء كثيرة على الثورة ، تهدى القلقين والحيارى ، والذين لم يستطيعوا بعد أن يتطوروا بأنفسهم مع أحداثها الكبيرة ، ليكونوا قوة ايجابية عاملة لخير البلاد ،

ولتحقيق مستقبل لا تحـده آفاق ، وهو درس لابد منه فى كل مدرسة ولكل تلميذ .

اخوانى المعلمين ...

هذه التربية الوطنية الجديدة ، عليكم عبؤها فى هذا العهد ، لتصنعوا لمصر جيلا جـديدا متحررا من كل مسـاوىء الماضى ، ومؤهلا بالوعى الناضج لحمل أمانة المستقبل ...

وزير التربية والتعليم

فلسفة الثورة

بقلم

جمال عبد الناصر

مقدمة

ان هــذه الخواطر عن فلسفة الثورة ، ليست محاولة لتأليف كتاب ...

ولا هى محاولة لشرح أهداف ثورة ٢٣ يوليو وحوادثها ...

انما هى شيء آخر تماما ...

انها أشبه ما تكون بدورية استكشاف ...

انها محاولة لاستكشاف نفوسنا ، لكى نعرف من نحن وماهو دورنا فى تاريخ مصر المتصل الحلقات ...

ومحاولة لاستكشاف الظروف المحيطة بنا فى الماضي والحاضر ، لكى نعرف فى أى طريق نسير ...

ومحاولة لاستكشاف أهدافنا والطاقة التى يجب أن نحشدها لنحقق هذه الأهداف ...

ومحاولة لاستكشاف الظروف المحيطة بنا ، لنعرف أننا لانعيش فى جزيرة يعزلها الماء من جميع الجهات .

١٨

هذا هو الذى قصدت اليه ...

مجرد دورية استكشاف فى الميدان الذى نحارب فيه ؛ معركتنا الكبرى من أجل تحرير الوطن من كل الأغلال !

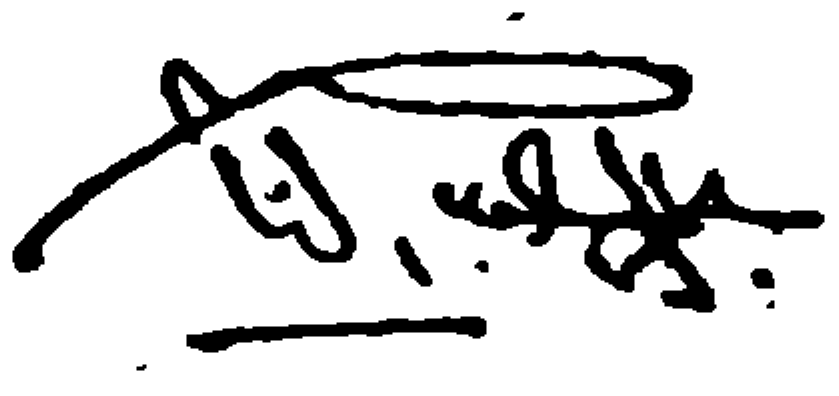

الجزء الأول

١

ليست فلسفة

قبل أن أمضى فى هذا الحديث أريد أن أقف قليلا عند كلمة « فلسفة » .

ان الكلمة ضخمة وكبيرة .

وأنا أحس وأنا واقف حيالها أنى أمام عالم واسع ليس له حدود ، وأشعر فى نفسى برهبة خفية تمنعنى من أن أخوض فى بحر ليس له قاع ، ولا أرى له على البعد ، من الشاطىء الذى أقف فيه ، شاطئاً آخر أنتهى اليه ...

والحق أنى أريد أن أتجنب كلمة فلسفة فى هذا الذى سأقوله ...

ثم أنا أظن أنه من الصعب على أن أتحدث عن فلسفة الثورة .

من الصعب لسببين :

أولهما أن الحديث عن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو يلزمه أساتذة

يتعمقون فى البحث عن جذورها الضاربة فى أعماق تاريخ شعبنا .

وقصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملؤها الهباء (١) وكذلك ليس فيها مفاجآت تقفز الى الوجود دون مقدمات .

ان كفاح أى شعب ، جيلا بعد جيل ، بناء يرتفع حجرا فوق حجر ...

وكما أن كل حجر فى البناء يتخذ من الحجر الذى تحته قاعدة يرتكز عليها ، كذلك الأحداث فى قصص كفاح الشعوب .

كل حدث منها هو نتيجة لحدث سبقه ، وهو فى نفس الوقت مقدمة لحدث ما زال فى ضمير الغيب ...

٢

محاولات ثورية سابقة

ولست أريد أن أدعى لنفسى مقعد أستاذ التاريخ ...

ذلك آخر ما يجرى به خيالى ...

ومع ذلك فلو حاولت محاولة تلميذ مبتدىء ، فى دراسة قصة

---

(١) يعنى أنه لا يمكن أن تقع حادثة من حوادث التاريخ دون ان يكون لها سبب أو أسباب من الماضى ، لأن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، كل حلقة منها تتصل بالحلقة التى قبلها ، والحلقات التى بعدها ، ولا يمكن أن يكون بين هذه الحلقات فراغ ليس فيه الا الهباء .

نفاح شعبنا ؛ فانى سوف أقول مثلا ان ثورة ٢٣ يوليو هى تحقيق للأمل الذى راود شعب مصر ، منذ بدأ فى العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه بأيدى أبنائه ، وفى أن تكون له نفسه الكلمة العليا فى مصيره ...

ا) لقد قام بمحاولة لم تحقق له الأمل الذى تمناه ؛ يوم تزعم السيد عمر مكرم حركة تنصيب محمد على واليا على مصر ، باسم شعبها (١) ..

(ب) وقام بمحاولة لم تحقق له الأمل الذى تمناه ؛ يوم حاول عرابى أن يطالب بالدستور (٢) ..

---

(١) كان السيد عمر مكرم أول مصرى فى التاريخ الحديث ، نادى بحق الشعب فى الحرية وفى السيادة . وكان أول شهرته خلال الحملة الفرنسية على مصر ، اذ كان من قواد حركة المقاومة الشعبية التى انتهت بجلاء الفرنسيين ، ثم قاد حركة المقاومة ضد طغيان المماليك والباشا العثمانى ، وكان محمد على فى ذلك الوقت ضابطا لاحدى الفرق العثمانية فى مصر ، فانضم الى حركة المقاومة الشعبية ، ووثق صلته بالزعيم عمر مكرم ، فانخدع به ورشحه للولاية ، فبايعه الشعب واليا ، وكتب زعماؤه بذلك الى الخليفة العثمانى فى استنبول ، فاقر الخليفة هذه البيعة مكرها ، نزولا على ارادة الشعب . فلما تم لمحمد على ما أراد ، وصار واليا على مصر ، تنكر للشعب ، وخان عهده للزعماء ، ونفى السيد عمر مكرم الى دمياط ، ثم الى طنطا ، فظل منفيا حتى مات !

وصار عرش مصر وراثة لاسرة محمد على ، يتوارثونه اميرا عن أمير ، وكان فاروق المخلوع آخر هذه السلسلة ، فأبعد عن العرش فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ ؛ ثم انتهت الملكية واعلنت « جمهورية مصر » فى يونيه سنة ١٩٥٣ ، بعد قرن ونصف قرن من اعتلاء محمد على لعرش مصر .

(٢) كان احمد عرابى ضابطا فى الجيش المصرى ، وكان مصريا صميما ، فى حين كان أكثر ضباط الجيش من الترك والشركس والأرمن والارنئود ، ولم يكن مسموحا للضباط المصريين أن يتجاوزوا الترقية رتبة معينة ، مهما بلغوا من النشاط

(ج) وقام بمحاولات متعددة ، لم تحقق له الأمل الذى تمناه : فى فترة الغليان الفكرى التى عاشها بين الثورة العرابية وثورة سنة ١٩١٩ (١) .

(د) وكانت هـذه الثورة الأخيرة ــ ثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول ــ محاولة أخرى لم تحقق له الأمل الذى تمناه (٢) .

والكفاية ، وكانت مرافق البلاد كلها فى أيدى الاجانب ، وكان الخديو توفيق يقربهم ويحتظيهم ويجعل لهم الامتياز والسيادة على أهل البلاد . وكان نظام الحكم استبداديا والضرائب ثقيلة ومجحفة ، وخزانة الدولة خاوية ، والديون التى تورط فيها اسماعيل بحماقة تثقل كاهل الحكومة والاهالى وتجعل للدائنين الاجانب السلطة العليا ... وراى احمد عرابى هذا ، ورآه زملاؤه الضباط المصريون فى الجيش ، فأجمعوا أمرهم على خطة لمقاومة هذا الطغيان ، ولاصلاح نظام الحكم ، والاعتراف بحـق الشعب فى السيادة .

واجتمع الجيش كله فى ميدان عابدين ، ليطلب الى الخديو باسم الشعب ، اصلاح أداة الحكم ، وانشاء حكم نيابى ، والحد من سلطة الأجانب ...

فاضطر توفيق الى الاستجابة لمطالب الشعب ، وحقق له ما اراد ، ثم راح يدبر امره مع الانجليز فى الخفاء ، ليقضى على روح المقاومة فى الشعب ، وكانت العاقبة كما أراد ، فاحتل الانجليز مصر ، واعتقلوا احمد عرابى وزملاءه . ونفوهم الى احدى جزر المحيط الهندى . وكان هذا اول الاحتلال البريطانى الذى جثم بأثقاله على صدر الوطن اثنتين وسبعين سنة ، حتى أكرههم المصريون فى سنة ١٩٥٤ على الجلاء ...

(١) فى هذه الفترة التى عاشتها مصر بين الثورتين ، فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، انتشرت الافكار الحرة . وبدأ الوعى القومى ينضج ، وكان لآراء السيد عبد الرحمن الكواكبى ، والسيد جمال الدين الأفغانى ، أثرها فى ايقاظ الوعى ، فآمن الشعب بحقه فى الاستقلال والحرية ، وبدأ يدبر امره لتحقيق هذين المطلبين . وكان من زعماء هذه الفترة : محمد عبده ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعبد العزيز جاويش .

(٢) لما احتلت بريطانيا مصر فى سنة ١٨٨٢ زعمت أن احتلالها مؤقت ، وأنها ستجلو عن مصر حين تستقر أمورها الداخلية ، وظلت على هـذا الزعم حتى نشبت

٣

اسباب مباشرة لا دوافع حقيقية ...

وليس صحيحاً أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين (١) ...

الحرب العالمية الاولى فى سنة ١٩١٤ ، تكشفت عن خبيئتها وفرضت على مصر الحماية البريطانية ، ولكى تخدر شعور المصريين ، زعمت أن هذه الحماية مؤقتة كذلك ، وأن ظروف الحرب هى التى اقتضتها ...

فلما انتهت الحرب فى أواخر سنة ١٩١٨ اجتمع المصريون على ضرورة انهاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر ، وذهب سعد زغلول ، وكيل الجمعية التشريعية ، الى دار المعتمد البريطانى فى القاهرة ، مع على شعراوى وعبد العزيز فهمى ، ليطلبوا اليه باسم مصر ، أن ينقل الى حكومته فى لندن رغبة المصريين فى انهاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، فلم تطق بريطانيا صبرا على هذا الطلب ، واعتقلت سعد وأصحابه ، ونفتهم الى مالطة ، فكان هذا سببا لاشتعال ثورة سنة ١٩١٩ .

وتعتبر هذه الثورة مرحلة من المراحل الرئيسية فى تاريخ العلاقات بين مصر وبريطانيا

(١) كانت فلسطين ـ الى الحرب العالمية الاولى ـ جزءا من أملاك الدولة العثمانية فلما نشبت تلك الحرب ، احتلتها بريطانيا باعتبارها من أملاك دولة معادية ، ولكى تكسب بريطانيا تأييد العرب لها فى تلك الحرب ، أعلنت أنها سترد اليهم بلادهم وتعترف باستقلالهم ، اذا أعانوها على حرب الترك ، فكان هذا الوعد سببا لانضمامهم الى صف بريطانيا فى تلك الحرب ، ولكن بريطانيا لم تكد تبلغ النصر ، حتى تنكرت للعرب ، واعتبرت بلادهم غنيمة حرب ، وفرضت سلطانها على فلسطين ، لتمهد لليهود أن ينشئوا لهم فيها وطنا قوميا ، فثار عرب فلسطين على هذا الوضع ولم يرتضوه ، ولكن بريطانيا لم تبال بثورات العرب المتعاقبة ، واخذت تهيىء لليهود فى سائر بلاد العالم ، وسائل الهجرة الى فلسطين والاستقرار بها ، لتكون لهم وطنا ، حتى اجتمع منهم نحو نصف مليون ، يزحمون أهل البلاد فى ارزاقهم ويزحزحونهم عن أرضهم ، فلما بلغ اليهود من الكثرة والقوة فى فلسطين هذا المبلغ ، انسحبت منها بريطانيا وتركت العرب الوطنيين واليهود الطارئين يتقاتلون وجها لوجه ، هؤلاء يطمعون فى الاستيلاء على وطن لم يكن لهم فيه شبر من ارض ، واولئك يدافعون عن وطنهم ومثوى آبائهم وأجدادهم ...

وليس صحيحا كذلك أنها قامت بسبب الأسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط (١) ...

ولم يكن لعرب فلسطين من القوة ما يهيىء لهم أسباب الغلبة ، فقررت الدول العربية أن تساعدهم على الظفر بحقهم وطرد العدو الدخيل من بلادهم ...

وبدأت فرق المتطوعين المصريين تأخذ مراكزها فى ميدان المقاومة ، بقيادة ضباط مصريين احرار ، تطوعوا لبذل دمائهم فى سبيل الابقاء على عروبة فلسطين ، وكان لهم بلاء يذكر بالاعجاب .

ثم دخل الجيش المصرى فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وأوغل فى البلاد ، وفر اليهود أمامه مذعورين يتخلون عن معاقلهم معقلا بعد معقل ، وظهرت تباشير النصر القريب ...

فى أثناء ذلك ، وقلوب العرب فى شتى بلادهم تخفق بعنف وهم يترقبون الساعة التى تأتيهم فيها أنباء النصر الحاسم ، حدثت خيانة كبيرة ، كان فاروق ملك مصر المخلوع شريكا فيها ، فوقعت الدول العربية صك الهدنة وهى فى أوج انتصارها ... وافلتت الثمرة الدانية من أيدى العرب !

(١) فى أثناء هذه الهدنة التى فرضتها الخيانة على الجيش المصرى والجيوش العربية المنتصرة ، زودت بريطانيا ، وحلفاؤها ، اليهود بكل ما يحتاجون اليه من الأسلحة الثقيلة والخفيفة ، ليكونوا على أهبة كاملة حين تستأنف الحرب ، وكان فاروق وسماسرته خلال ذلك يستولون على أموال الخزانة ، بدعوى شراء الأسلحة للجيش المصرى المرابط فى ميدان القتال ، فيأخذونها لانفسهم ، ويرسلون الى الجيش بثمنها أسلحة فاسدة ، تصيب أصحابها ولا تصيب العدو ، فكانوا بذلك عونا لليهود على النصر ، وسببا لهزيمة مصر ، وقد راح ضحية هذه الاسلحة جنود وضباط مصريون ، وراحت فلسطين نفسها ، وغلب عليها اليهود ، ولم تزل تحت أيدى اليهود حتى اليوم ، وأهلها مشردون فى الفلوات لا يجدون مأوى !

وأبعد ذلك عن الصحة ما يقال من أن السبب كان أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش (١) .

انما الأمر فى رأيى كان أبعد من هذا وأعمق أغوارا .

ولو كان ضباط الجيش حاولوا أن يثوروا لأنفسهم لأنه قد غرر بهم فى فلسطين أو لأن فضيحة الأسلحة الفاسدة أرهقت أعصابهم ، أو لأن اعتداء وقع على كرامتهم فى انتخابات نادى ضباط الجيش . لما كان الأمر يستحق أن يكون ثورة ، ولكان أقرب الأشياء الى وصفه بأنه مجرد تمرد ، حتى وان كانت الأسباب التى أدت اليه منصفة عادلة فى حد ذاتها ...

لقد كانت هذه كلها أسبابا عارضة ...

وربما كان أكبر تأثير لها أنها كانت تستحثنا على الاسراع فى طريق الثورة . ولكننا كنا من غيرها نسير على هذا الطريق .

---

(١) كان الضباط الاحرار قد شكلوا هيئتهم قبل ذلك وصاروا قوة ذات أثر فى كل فرقة من فرق الجيش ، استعدادا لتخليص البلاد من الطغيان ، ومن الفساد ، ومن الاحتلال البريطانى . وكان فاروق يضع على رأس الجيش جماعة من سماسرته وبطانته ، هم عناوين الجيش البارزة امام الناس ، فمنهم الرؤساء الكبار ، والقادة العاملون ، وممثلو الجيش فى كل مناسبة يراد ان يمثل فيها الجيش ، ومنهم هيئة الادارة فى نادى الضباط ، فلما حان موعد الانتخاب لرياسة النادى فى سنة ١٩٥١ حرص الضباط الاحرار على ابعاد سماسرة فاروق وبطانته من رياسة النادى ، انتخبوا رئيسا منهم ، تحديا لارادة فاروق ، فغاظ ذلك فاروق وألغى الانتخاب ، وكان ذلك أول مظهر صريح من مظاهر الخلاف بينه وبين الجيش !

٤

بذور الثورة

وأنا أحاول اليوم ؛ بعد كل ما مر بى من أحداث ؛ وبعد سنوات طويلة من بدء التفكير فى الثورة ؛ أن أعود بذاكرتى وأتعقب اليوم الأول الذى اكتشفت فيه بذورها فى نفسى .

ان هذا اليوم أبعد فى حياتى من أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٥١، أيام ابتداء أزمة نادى الضباط ، ففى ذلك الوقت كان تنظيم الضباط الأحرار قائما يباشر عمله ونشاطه ؛ بل أنا لا أغالى اذا قلت ان أزمة انتخابات النادى أثارها أكثر من أى شىء آخر ، نشاط الضباط الأحرار ؛ فقد شئنا فى ذلك الوقت أن ندخل معركة نجرب فيها قوتنا على التكتل وعلى التنظيم .

وهذا اليوم — فى حياتى أيضا — أبعد من بدء فضيحة الأسلحة الفاسدة ، فقد كان تنظيم الضباط الأحرار موجودا قبلها ، وكانت منشوراتهم أول نذير بتلك المأساة . وكان نشاطهم وراء الضجة التى قامت حول الأسلحة الفاسدة .

بل ان هذا اليوم فى حياتى أبعد من يوم ١٦ مايو سنة ١٩٤٨ ذلك اليوم الذى كان بداية حياتى فى حرب فلسطين .

٥

ذكريات من فلسطين ...

وحين أحاول الآن أن أستعرض تفاصيل تجاربنا فى فلسطين ، أجد شيئا غريبا ، فقد كنا نحارب فى فلسطين : ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر .

كان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه . ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه ...

وفى فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس وتبحث وتجتمع فى الخنادق والمراكز .

فى فلسطين جاءنى صلاح سالم وزكريا محيى الدين (١) ، واخترقا الحصار الى الفالوجة ، وجلسنا فى الحصار لانعرف له نتيجة ولا نهاية ، وكان حديثنا الشاغل وطننا الذى يتعين علينا أن نحاول انقاذه ..

وفى فلسطين جلس بجوارى مرة كمال الدين حسين(٢) وقال

---

(١) و(٢) من أعضاء مجلس قيادة الثورة .

لى وهو ساهم الفكر شارد النظرات : هل تعلم ماذا قال لى أحمد عبد العزيز قبل أن يموت (١) ؟

قلت : ماذا قال .. ؟

قال كمال الدين حسين وفى صوته نبرة عميقة وفى عينيه نظرة أعمق : لقد قال لى : اسمع يا كمال ، ان ميدان الجهاد الأكبر هو فى مصر ..

٦

بذور الثورة تنمو ...

ولم ألتق فى فلسطين بالأصدقاء الذين شاركونى فى العمل من أجل مصر ، وانما التقيت أيضا بالأفكار التى أنارت أمامى السبيل .

وأنا أذكر أيام كنت أجلس فى الخنادق وأسرح بذهنى الى مشاكلنا ...

كانت الفالوجا محاصرة ، وكان تركيز العدو عليها ضربا بالمدفع والطيران تركيزا هائلا مروعا .

---

(١) فدائى مصرى عظيم ، كان ضابطا فى الجيش المصرى ، ثم قاد قوات المتطوعين المصريين للدفاع عن فلسطين ، قبل أن تقرر الدول العربية الاشتراك فى المعركة ، وكان له بلاء مشهود فى كثير من المعارك ، وقضى شهيدا فى الميدان سنة ١٩٤٨ ، وانظر ص ٩٨

وكثيرا ماقلت لنفسى : هانحن أولاء هنا فى هذه الجحور محاصرين ، لقد غرر بنا ، دفعنا الى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات ، وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح .

وحين كنت أصل الى هذا الحد من تفكيرى ، كنت أجد خواطرى تقفز فجأة عبر ميادين القتال ، وعبرالحدود ، الى مصر ، وأقول لنفسى : هذا هو وطننا هناك ، انه « فالوجة » أخرى على نطاق كبير ... ان الذى يحدث لنا هنا صورة من الذى يحدث هناك ... صورة مصغرة ... وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والأعداء ، وغرر به ... ودفع الى معركة لم يعد لها ، ولعبت بأقداره مطامع ومؤامرات وشهوات وترك هنـاك تحت النيران بغير سلاح !

٧

درس من اسرائيل

وأكثر من هذا ، لم يكن الأصدقاء هم الذين تحدثوا معى عن مستقبل وطننا فىفلسطين ، ولم تكن التجارب هى التى قرعت أفكارنا بالنذر والاحتمالات عن مصيره ، بل ان الأعداء أيضا لعبوا دورهم فى تذكيرنا بالوطن ومشاكله …

ومنذ أشهر قليلة قرأت مقالات كتبها عنى ضابط اسرائيلى اسمه «يردهان كوهين» ونشرتها له جريدة «جويشن أوبزرفر» ؛ وفى هذه المقالات روى الضابط اليهودى كيف التقى بى أثناء مباحثات واتصالات عن الهدنة ، وقال : « لقد كان الموضوع الذى يطرقه جمال عبد الناصر معى دائما ، هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة مقاومتنا السرية لهم فى فلسطين ، وكيف استطعنا أن نجند الرأى العام فى العالم وراءنا فى كفاحنا ضدهم » .

٨

حادث ٤ فبراير ١٩٤٢

ثم ان هذا اليوم — اليوم الذى اكتشفت فيه بذور الثورة فى نفسى — أبعد من حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ (١) الذى كتبت بعده خطابا الى صديق قلت له فيه :

« ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين ؟

« الحقيقة أنى أعتقد أن الاستعمار يلعب بورقة واحدة فى يده بقصد التهديد فقط ، ولكن لو أنه أحس أن بعض

---

(١) فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، كانت الجيوش الألمانية قد اجتازت حدود مصر الغربية ، بقيادة روميل ، تتعقب الجيوش البريطانية المهزومة حتى بلغت «العلمين» على مقربة من الاسكندرية ، وأدرك الانجليز يومئذ أن آخرتهم فى مصر قد حانت . وكان اشد مايخشونه ان ينضم المصريون الى أعداء بريطانيا ، انتقاما لانفسهم من المظالم التى نالتهم بها الاحتلال البريطانى خلال ستين سنة ، وقد خيل للانجليز انهم يستطيعون أن يتقوا هذا الشر ، لو كان على رأس الحكومة المصرية رجل يأمنون جانبه ويأمنون جانب الشعب معه ، فذهب سفيرهم فى ٤ فبراير الى قصر الملك ، يطلب اليه اسناد رياسة الوزارة الى مصطفى النحاس ، وانذروه ان لم يفعل ، ان يتحمل نتائج رفضه . ثم زحفت دبابات الانجليز على قصر الملك ، فخضع فاروق واسند رياسة الوزارة الى مصطفى النحاس ، استجابة لرغبة بريطانيا ...

المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة لانسحب كأى امرأة من العاهرات .. »

وطبعا هذا حاله ، أو تلك عادته ...

أما نحن ، أما الجيش ، فقد كان لهذا الحادث تأثير جديد على الروح والاحساس فيه ؛ فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون الا عن الفساد واللهو ، أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة ، وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا - مع ضعفهم الظاهر - ويردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء ، ولكن ان غداً لناظره قريب ...

لقد حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئا بغية الانتقام ، ولكن الوقت كان قد فات ، أما القلوب فكلها نار وأسى ...

والواقع أن هذه الحركة ... أن هذه الطعنة ، ردت الروح الى بعض الأجساد ، وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها ، وكان هذا درسا قاسيا .

٩
ذكريات من ١٩٣٥

وكذلك فان هذا اليوم أبعد فى حياتى من الفوران الذى عشت فيه أيام كنت طالبا أمشي مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور سنة ١٩٢٣ — وقد عاد الدستور بالفعل — فى سنة ١٩٣٥ (١) ...

---

(١) لم يكن قصد الملك فؤاد — والانجليز من ورائه — حين أعلن الدستور فى سنة ١٩٢٣ ودعا الشعب الى انتخاب ممثليه فى البرلمان — الا أن يصدع وحدة الشعب ، وشغله بالمنافسات الحزبية حول مقاعد البرلمان ومنصب الحكم عن امانيه القومية ، وقد تحقق له وللانجليز ما ارادوا من ذلك ، فتصدعت وحدة الشعب التى زلزلت كيان بريطانيا فى سنة ١٩١٩ ، وصار الشعب أحزابا وشيعا ، يكيد بعضهم لبعض ، ويتربص بعضهم ببعض ، وشغلهم الصراع على المناصب عن الكفاح لتحقيق الاستقلال ، ورأى فؤاد الفرصة سانحة فى سنة ١٩٣٠ ليسترد الدستور الذى أعلنه فى سنة ١٩٢٣ ، ليعود الى نوع من حكم الفرد مموه بعنوان دستورى زائف ، فأعلن الغاء الدستور واستبدل به دستورا آخر لا يحقق للشعب سلطة ولا سيادة ، وقهر البلاد بالعنف على الاستسلام والرضا ، وفرض عليها حكومة استبدادية ، تنتحل صفة دستورية زائفة ، بضع سنين ، ولكن الشعب لم يخضع ، ولم يتخل من مثله العليا وامانيه القومية التى يكافح فى سبيلها منذ سنين ذات عدد ، فما هو الا أن اتيحت له الفرصة فى سنة ١٩٣٥ ، حتى ثار ثورة حاطمة ، مطالبا بعودة دستور سنة ١٩٢٣ ...

وطأطأ فؤاد رأسه للشعب ، كما طأطأ اخوه توفيق من قبل للثورة العرابية ، ورد للشعب دستور سنة ١٩٢٤ ، ودعاه لانتخاب ممثليه فى البرلمان على النظام الذى يرتضيه ...

ولكن ، كما كان خضوع توفيق فى سنة ١٨٨١ تمهيدا للاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢ ، كان خضوع فؤاد من بعد تمهيدا لمعاهدة سنة ١٩٣٦ التى تربط مصر الى عجلة بريطانيا رباطا ابديا لا فكاك منه ، فعلى أثر عودة الدستور ، تألفت الجبهة الوطنية التى تضم زعماء الاحزاب جميعا ، لتدخل مع بريطانيا فى مفاوضة جديدة تحل المسائل المعلقة بين البلدين ، ثم انتهت هذه المفاوضات الى المعاهدة الأبدية ، التى مزقتها الثورة الشعبية بعد ذلك واكرهت الانجليز على الجلاء الذى لا رجعة بعده !

وأيام كنت أسعى مع وفود الطلبة ، الى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر ، وتألفت الجبهة الوطنية سنة١٩٣٦. بالفعل على أثر هذه الجهود .

وأذكر أننى فى فترة الفوران هذه كتبت خطابا الى صديق من أصدقائى ، قلت فيه ، وكان تاريخه ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ .

« أخى ...

« خاطبت والدك يوم ٣٠ أغسطس فى التليفون ، وقد سألته عنك فأخبرنى أنك موجود فى المدرسة ...

« لذلك عولت على أن أكتب اليك ما كنت سأكلمك فيه تليفونيا ...

« قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... »

فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم ؟

ان الموقف اليوم دقيق ، ومصر فى موقف أدق ... ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت ، فانبناء اليأسعظيم الأركان ؛ فأين من يهدم هذا البناء ... ؟ »

ثم مضيت فى الخطاب الى آخره ..

واذن فمتى كان ذلك اليوم الذى اكتشفت فيه بذور الثورة فى أعماقى ؟

١٠

ميراث أجيال !

فلو أضيف الى هذا كله ، أن تلك البذور لم تكن كامنة فى أعماقى وحدى ، وانما وجدتها كذلك فى أعماق كثيرين غيرى ، هم الآخرون بدورهم لايستطيع الواحـــد منهم أن يتعقب بداية وجودها داخل كيانه ، لاتضح اذن أن هذه البـــذور ولدت فى أعماقنا حين ولدنا ، وأنها كانت أملا مكبوتا خلفه فى وجداننا جيل سبقنا •••

١١

فى داخل الدوامة !

ولقد استطردت وراء هذا كله لأشرح السبب الأول الذى من أجله وجدت من الصعب على أنى أتحدث عن فلسفة الثورة ، وقلت أن هـــذا الحديث يلزمه أســاتذة يتعمقون فى البحث عن جذورها الضاربة فى أعماق تاريخ شعبنا ••

أما السبب الثانى فهو أننى كنت بنفسى داخل الدوامة العنيفة للثورة •

والذين يعيشون فى أعماق الدوامة قد تخفى عليهم بعض التفاصيل البعيدة عنها ...

وكذلك كنت بإيمانى وعقلى وراء كل ما حدث ، وبنفس الطريقة التى حدث بها ؛ واذن فهل أستطيع أن أتجرد من نفسى حين أتكلم عنه ، وحين أتكلم عن المعانى المستترة وراءه ؟

١٢

يجب أن نتجرد لنحكم

أنا من المؤمنين بأنه لا شىء يمكن أن يعيش فى فراغ ...

حتى الحقيقة لا يمكن أن تعيش فى فراغ ..

والحقيقة الكامنة فى أعماقنا هى ما نتصور نحن أنه الحقيقة .

أو بمعنى أصح : هو الحقيقة مضافا اليها نفوسنا ...

نفوسنا هى الوعاء الذى يعيش فيه كل مافينا ، وعلى شكل هذا الوعاء سوف يتشكل كل ما يدخل فيه ، حتى الحقائق (١) .

وأنا أحاول ـ بقدر ما تستطيع طاقتى البشرية ـ أن أمنع

---

(١) يعنى أننا لا نستطيع أن نحكم على الشىء بدقة لجعل حكمنا عليه قريبا من الحقيقة ، اذا كنا نحن أنفسنا جزءا من هذه الحقيقة ، فان شرط القاضى أن يتجرد ، والا يحكم فى قضية يتصل موضوعها بشخصه أى اتصال ، حتى لا يتلون حكمه بلون من ألوان عاطفته .

نفسى من أن تغيِّر كثيراً من شكل الحقيقة . ولكن الى أى حد سوف يلازمنى التوفيق ؟

هـذا سؤال !

وبعده أريد أن أكون منصفا لنفسى ؛ ومنصفا لفلسفة الثورة ؛ فأتركها للتاريخ يجمع شكلها فى نفسى ، وشكلها فى نفوس غيرى ، وشكلها فى الحوادث جميعا ؛ ويخرج من هـذا كله بالحقيقة كاملة (١) ...

(١) يعنى أنه مادام التجرد للحكم غير مستطاع ، فان الانصاف يفرض عليه أن يترك الحكم للتاريخ .

١٣

مراحل هذه الثورة

امل ، ثم فكرة ، ثم تدبير ، ثم تجارب . . .

ولذن فما الذى أريد أن أتحدث عنه اذا كنت قد استبعدت كلمة « فلسفة » ؟

الواقع أن الذى أملكه فى هذا الصدد شيئان :

أولهما مشاعر اتخذت شكل الأمل المبهم ، ثم شكل الفكرة المحددة ، ثم شكل التدبير العملى ، حتى منتصف ليل ٢٣ يوليو .

وثانيهما تجارب وضعت هذه المشاعر ـ بأملها المبهم ، وفكرتها المحددة ، وتدبيرها العملى ـ موضع التنفيذ الفعلى فى منتصف ليل ٢٣ يوليو حتى الآن ...

وعن هذه المشاعر والتجارب أريد أن أتحدث ..

١٤

لماذا قام الجيش بالثورة ؟
ولماذا استمر ؟

لطالما ألح على خواطرى سؤال ، هو :

« هل كان يجب أن نقوم ، نحن الجيش ، بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟ » .

لقد قلت منذ سطور ، ان ثورة ٢٣ يوليو كانت تحقيقا لأمل كبير راود شعب مصر ، منذ بدأ فى العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه فى أيدى أبنائه ، وفى أن تكون له نفسه الكلمة العليا فى مصيره ...

واذا كان الأمر كذلك ، ولم يكن الذى حدث يوم ٢٣ يوليو تمردا عسكريا ، وليس ثورة شعبية ؛ فلماذا قدر للجيش ، دون غيره من القوى ، أن يحقق هذه الثورة ؟

ولقد آمنت بالجندية طول عمرى ، والجندية تجعل للجيش واجبا واحدا ، هو أن يموت على حدود وطنه ؛ فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطرا للعمل فى عاصمة الوطن ، وليس على حدوده ؟

ومرة أخرى ، دعونى أنبه الى أن الهزيمة فى فلسطين ، والأسلحة

الفاسدة ، وأزمة نادى الضباط ... لم تكن المنابع الحقيقية التى تدفق منها السيل ؛ لقد كانت هذه كلها عوامل مساعدة على سرعة التدفق ، ولكنها ــ كما سبق أن قلت ــ لا يمكن أبدا أن تكون هى الأصل والأساس .

واذن فلماذا وقع على الجيش هذا الواجب ؟

قلت ان هذا السؤال طالما ألح على خواطرى ...

ألح عليها ونحن فى دور الأمل والتفكير والتدبير قبل ٢٣ يوليو .

وألح عليها فى مراحل كثيرة من التجربة بعد ٢٣ يوليو .

ولقد كانت أمامنا مبررات مختلفة قبل ٢٣ يوليو تشرح لنا لماذا يجب أن نقوم بالذى قمنا به ..

(ا) كنا نقول : اذا لم يقم الجيش بهذا العمل فمن يقوم به ؟

(ب) وكنا نقول : كنا نحن الشبح الذى يؤرق به الطاغية أحلام الشعب ، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول الى الطاغية نفسه فيبدد أحلامه هو ..

(ج) وكنا نقول غير هذا كثيرا ، ولكن الأهم من كل ما كنا نقوله ، أننا كنا نشعر شعورا يمتد الى أعماق وجودنا بأن

هـذا الواجب واجبنا ، وأننا اذا لم نقم به نكون كأننا قد تخلينا عن أمانة مقدسة نيط بنا حملها ...

ولكنى أعترف أن الصورة الكاملة لم تتضح فى خيالى الا بعد فترة طويلة من التجربة عقب ٢٣ يوليو ..

وكانت تفاصيل هذه التجربة .. هى بعينها تفاصيل الصورة :

١٥

الطليعة تنتظر المدد

وأنا أشهد أنه مرت على بعد يوم ٢٣ يوليو نوبات اتهمت فيها نفسى وزملائى وباقى الجيش بالحماقة والجنون الذى صنعناه فى ٢٣ يوليو ...

لقد كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وأنها لاتنتظر الا طليعة تقتحم أمامها السور ، فتندفع الأمة وراءها صفوفا متراصة منتظمة تزحف زحفا مقدسا الى الهدف الكبير ..

وكنت أتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين ، وكنت أظن أن دورنا هذا لا يستغرق أكثر من بضع ساعات ، ويأتى بعدنا الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير ، بل قد كان الخيال يشط بى أحيانا فيخيل الى أنى أسمع صليل

الصفوف المتراصة وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم الى الهدف الكبير ، أسمع هذا كله ويبدو فى سمعى من فرط ايمانى به حقيقة مادية ، وليس مجرد تصورات خيال ...

ثم فاجأنى الواقع بعد ٢٣ يوليو ...

١٦

اين المدد من الشعب ؟

قامت الطليعة بمهمتها ، واقتحمت سور الطغيان ؛ وخلعت الطاغية ، ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير ...

وطال انتظارها ...

لقد جاءتها جموع ليس لها آخر ... ولكن ما أبعد الحقيقة عن الخيال !

كانت الجموع التى جاءت أشياعا متفرقة ، وفلولا متناثرة ، وتعطل الزحف المقدس الى الهدف الكبير . وبدت الصوره يومها قاتمة مخيفة تنذر بالخطر ...

١٧

شعار الثورة

وساعتها أحسست وقلبى يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة ، أن مهمة الطليعة لم تنته فى هذه الساعة ، بل انها من هـذه السـاعة بدأت ...

كنا فى حاجة الى النظام ، فلم نجد وراءنا الا الفوضى ...
وكنا فى حاجة الى الاتحاد ، فلم نجد وراءنا الا الخلاف ...
وكنا فى حاجة الى العمـل ، فلم نجـد وراءنا الا الخنـوع والتكاسل ...

ومن هنا وليس من أى شىء آخر ، أخذت الثورة شعارها (١) .

---

(١) شعار الثورة : النظام ، والاتحاد ، والعمل . وقد حلل الاستاذ عباس محمود العقاد ، ووازن بينه وبين شعار كل من الثورة الفرنسية ، والثورة التركية ، والثورة الروسية ، والثورة الصينية ، واسهب فى تحليل كل شعار منها ومدى انطباقه على واقع كل ثورة من تلك الثورات . انظر « فلسفة الثورة فى الميزان » للاستاذ عباس محمود العقاد .

١٨

فرصة للانتقام !

ولم نكن على استعداد ...

وذهبنـــا نلتمس الرأى من ذوى الرأى ، والخبـــرة من أصحابها ...

ومن سوء حظنا لم نعثر على شىء كثير ...

كل رجل قابلناه لم يكن يهدف الا الى قتل رجل اخر

وكل فكرة سمعناها لم تكن تهدف الا الى هدم فكرة أخرى !

ولو أطعنا كل ما سمعناه ، لقتلنا جميع الرجال وهدمنا جميع الأفكار ، ولما كان لنا بعـدها ما نعمله الا أن نجلس بين الأشلاء والأنقاض نندب الحظ البائس ونلوم القدر التعس !

وانهالت علينا الشكاوى والعرائض بالألوف ومئات الألوف ، ولو أن هذه الشكاوى والعرائض كانت تروى لنا حالات تستحق الانصاف ، أو مظالم يجب أن يعود اليها العـدل ، لكان الأمر منطقيا ومفهوما ، ولكن معظم ما كان يرد الينا لم يزد أو ينقص عن أن يكون طلبات انتقام ... كأن الثورة قامت لتكون سـلاحا فى يد الأحقاد والبغضاء !

١٩

اين الانصاف ؟

ولو أن أحدا سألنى فى تلك الأيام ، ما هو أعز أمانيك ؟

لقلت له على الفور : أن أسمع مصريا يقول كلمه انصاف فى حق مصرى آخر ...

أن أحس أن مصريا قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب لاخوانه المصريين ...

أن أرى مصريا لايكرس وقته لتسفيه آراء مصرى آخر ...

٢٠

انتهازيون !

وكانت هناك بعد ذلك كله أنانية فردية مستحكمة ...

كانت كلمة « أنا » على كل لسان ...

كانت هى الحل لكل مشكلة ، وكانت الدواء لكل داء ...

وكثيرا ما كنت أقابل كبراء — أو هكذا تسميهم الصحف — من كل الاتجاهات والألوان ، وكنت أسأل الواحد منهم فى مشكلة ألتمس منه حلا لها ، ولم أكن أسمع الا « أنا » ...

مشاكل الاقتصاد « هو » وحده يفهمها ، أما الباقون جميعا فهم فى العلم بها أطفال يحبون .

ومشاكل السياسة « هو » وحده الخبير بها ، أما الباقون جميعا فما زالوا فى « ألف باء » لم يتقدموا بعدها حرفا واحداً .

وكنت أقابل الواحد من هؤلاء ، ثم أعود الى زملائى فأقول لهم فى حسرة : لا فائدة ... هذا رجل لوسألناه عن مشكلة صيد السمك فى جزائر هاواى لما وجدناعنده جوابا الا كلمة « أنا » .. !

٢١
درس فى الجامعة

أذكر مرة كنت أزور فيها احدى الجامعات ودعوت أساتذتها وجلست معهم أحاول أن أسمع منهم خبرة العلماء .

وتكلم أمامى منهم كثيرون ... تكلموا طويلا ...

ومن سوء الحظ أن أحدا منهم لم يقدم لى أفكارا ، وانما كل منهم لم يزد على أن قدم لى نفسه ، وكفاياته الخلقية وحده لعمل المعجزات ، ورمقنى كل واحد منهم بنظرة الذى يؤثرنى على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود !

٢٢

المعجزة التى نستطيعها ...

وأذكر أنى لم أتمالك نفسى ، فقمت بعدها أقول لهم :

ان كل فرد منا يستطيع فى مكانه أن يصنع معجزة ؛ ان واجبه الأول أن يعطى كل جهده لعمله ؛ ولو أنكم ؛ كأساتذة جامعات ، فكرتم فى طلبتكم : وجعلتموهم ــ كما يجب ــ عملكم الأساسى ، لاستطعتم أن تعطونا قوى هائلة لبناء الوطن .

ان كل واحد يجب أن يبقى فى مكانه ويبذل فيه كل جهده .

لا تنظروا الينا . لقد اضطرتنا الظروف أن نخرج من أماكننا لنقوم بواجب مقدس . ولقد كنا نتمنى لو لم تكن للوطن حاجة بنا الا فى صفوف الجيش كجنود محترفين ؛ اذن لبقينا فيه .

٢٣

ثوار ولكنهم اساتذة

ولم أشأ ساعتها أن أضرب لهم المثل من أعضاء مجلس قيادة الثورة ؛ ولم أشأ أن أقول لهم انهم قبل أن يدعوهم الطارىء الذى دعاهم الى الواجب الأكبر ، كانوا يبذلون فى عملهم كل جهدهم .

ولم أشأ أن أقول لهم ان معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا أساتذة فى كلية أركان الحرب ، وهذا دليل امتيازهم فى

ناحيتهم كجنود محترفين ...

وكذلك لم أشأ أن أقول لهم ان ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، هم عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وكمال الدين حسين ، رقوا ترقيات استثنائية فى ميدان القتال فى فلسطين .

لم أشأ أن أقول لهم شيئا من هذا ، لأنى لا أريد أن أفاخر الناس بأعضاء مجلس قيادة الثورة ، وهم اخوتى وزملائى ...

٢٤
ازمة نفسية

وأعترف أن هذا الحال كله سبب لى أزمة نفسية كئيبة .

ولكن التجارب فيما بعد ، وتأمل هذه التجارب واستخلاص معانيها الحقيقية ، خففت من وقع الأزمة فى نفسى . وجعلتنى ألتمس لهذا كله أعذارا من الواقع عثرت عليها حين اتضحت أمامى — الى حد ما — الصورة الكاملة لحالة الوطن ؛ وأكثر من هذا أعطتنى الجواب عن السؤال الذى قلت انه طالما راودنى ، وهو :

« هل كان يجب أن نقوم ، نحن الجيش ، بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو ؟ »

والجواب : نعم ؛ ولم يكن هناك مهرب أو مفر !

٢٥

نحن نعيش فى ثورتين

وأنا الآن أستطيع أن أقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة ...

ولكل شعب من شعوب الأرض ثورتان :

ثورة سياسية ، يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه .

وثورة اجتماعية ، تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى شعوب مرت بالثورتين ولكنها لم تعشهما معا ، وانما فصل بين الواحدة والثانية مئات من السنين ؛ أما نحن فان التجربة الهائلة التى امتحن بها شعبنا هى أن تعيش الثورتان معا فى وقت واحد ...

٢٦
بين شقى الرحى !

وهذه التجربة الهائلة مبعثها ان لـكل من الثـورتين ظروفا مختلفة تتنافر تنافرا عجيبا وتتضادم تصادما مروعا ...

(ا) ان الثورة السياسية ، تتطلب لنجاحها وحـدة جميع عناصر الأمة وترابطها وتساندها ونكرانها لذاتها فى سبيل الوطن كله .

(ب) والثـورة الاجتماعية ، من أول مظاهرها تزلزل القيم وتخلخل العقائد ، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفرادا وطبقات ، وتحكم الفسـاد والشك والكراهيـة ... والأنانية ...

وبين شقى الرحى هذين ، قدرلنا أن نعيش اليوم فى ثورتين :
ثورة تحتم علينا أن تتحد ، وتتحاب ، وتتفانى فى الهدف ..
وثورة تفرض علينا ـ برغم ارادتنا ـ أن تتفرق ، وتسودنا البغضاء ، ولا يفكر كل منا الا فى نفسه ...

٢٧

لماذا اخفقت ثورة ١٩١٩ ؟

وبين شقى الرحى هذين — مثلا — ضاعت ثورة ١٩١٩ ولم تستطع أن تحقق النتائج التى كان يجب أن تحققها •

الصفوف التى تراصت فى سنة ١٩١٩ تواجه الطغيان : لم تلبث الا قليلا حتى شغلها الصراع فيما بينها أفرادا وطبقات •••

وكانت النتيجة فشلا كبيرا ؛ فقد زاد الطغيان بعدها تحكما فينا : سواء بواسطة قوات الاحتلال السافرة ؛ أو بصنائع الاحتلال المقنعة التى كان يتزعمها فى ذلك الوقت السلطان فؤاد وبعده ابنه فاروق . ولم يحصد الشعب الا الشكوك فى نفسه ، والا الكراهية والبغضاء والأحقاد فيما بين أفراده وطبقاته •

وشحب الأمل الذى ينتظر أن تحققه ثورة ١٩١٩ •

ولقد قلت شحب الأمل ، ولم أقل تلاشى ، ذلك لأن قوى المقاومة الطبيعية التى تدفعها الآمال الكبيرة التى تراود شعبا ، كانت لا تزال تعمل عملها وتستعد لمحاولة جديدة •

وكان ذلك هو الحال الذى ساد بعد ثورة ١٩١٩ ؛ والذى فرض على الجيش أن يكون وحده القوة القادرة على العمل •

٢٨
مرة اخرى : لماذا قام الجيش بالثورة ؟

كان الموقف يتطلب أن تقوم قوة يقرب ما بين أفرادها اطار واحد . يبعد عنهم الى حد ما صراع الأفراد والطبقات ...

وأن تكون هذه القوة من صميم الشعب ...

وأن يكون فى يدهم من عناصر القوة المادية مايكفل لهم عملا سريعا جاسما ...

ولم تكن هذه الشروط تنطبق الا على الجيش ...

وهكذا لم يكن الجيش — كما قلت — هو الذى حدد دوره فى الحوادث ، وانما العكس كان أقرب الى الصحة ؛ وكانت الحوادث وتطوراتها هى التى حددت للجيش دوره فى الصراع الكبير لتحرير الوطن .

٢٩

الظروف نفرض الثورتين معا

ولقد أدركت منذ البداية أن نجاحنا يتوقف على ادراكنا الكامل لطبيعة الظروف التى نعيش فيها من تاريخ وطننا ؛ فاننا لم نكن نستطيع أن نغير هذه الظروف بجرة قلم ، وكذلك لم نكن نستطيع أن نؤخر عقارب الساعة أو نقدمها ونتحكم فى الزمن ... وكذلك لم يكن فى استطاعتنا أن نقوم على طريق التاريخ بمهمة جندى المرور ، فنوقف مرور ثورة حتى تمر ثورة أخرى ونحول بذلك دون وقوع حادث اصطدام ؛ وانما كان الشيء الوحيد الذى نستطيعه هو أن نتصرف بقدر الامكان وننجو من أن يطحننا شقا الرحى !

وكان لابد أن نسير فى طريق الثورتين معا .

ويوم سرنا فى طريق الثورة السياسية فخلعنا فاروق عن عرشه ؛ سرنا خطوة مماثلة في طريق الثورة الاجتماعية فقررنا تحديد الملكية .

٣٠
تناقض طبيعى فرضته الضرورات

وما زلت حتى اليوم أعتقد أنه ينبغى أن تظل ثورة ٢٣ يوليو محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمبادأة ؛ لكى تستطيع أن تحقق معجزة السير فى ثورتين فى وقت واحد ، مهما بدا فى بعض الأحيان من التناقض فى تصرفاتنا .

وحين جاءنى واحد من أصدقائى يقول لى : « أنت تطالب بالاتحاد لمواجهة الانجليز ، وأنت فى نفس الوقت تسمح لمحاكم الغدر أن تستمر فى عملها ... »

استمعت اليه ، وكانت فى خيالى أزمتنا الكبيرة ؛ أزمة شقى الرحى .

ثورة تقتضينا أن نتحد صفا واحدا وننسى الماضى .

وثورة تفرض علينا أن نعيد الهيبة الضائعة لقيم الأخلاق لا ننسى الماضى !

ولم أقل لهذا الصديق ، ان منفذنا الوحيد الى النجاة ، أن

نحتفظ ــ كما قلت ــ بسرعة الحركة والمبادأة ؛ وبالقدرة على أن نسير فى طريقين فى وقت واحد .

ولم أشأ أنا ذلك ؛ ولا شاءه كل الذين شاركوا فى ٢٣ يوليو .

ولكن القدر شاء ؛ وتاريخ شعبنا ، والمرحلة التى يمر بهـا اليوم .

الجزء الثاني

١

اهداف الثورة ووسائلها

(ا) ولكن ما الذى نريد أن نصنعه ؟

(ب) وما هو الطريق اليه ؟

الحق أني فى معظم الأحيان كنت أعرف الاجابة عن السؤال الأول ، وأخال أنى لم أكن وحدى المنفرد بهذه المعرفة ؛ وانما كانت تلك المعرفة أملا انعقد عليه اجماع جيلنا كله .

أما الاجابة عن السؤال الثانى « طريقنا الى هذا الذى نريده » فأنا أعترف أنها تغيرت فى خيالى كما لم يتغير شىء آخر ، وأكاد أعتقد أيضا أنها موضوع الخلاف الأكبر فى هذا الجيل !

وما من شك فى أننا جميعا نحلم بمصر المتحررة القوية . ذلك أمر ليس فيه خلاف بين مصري ومصرى .

أما الطريق الى التحرر والقوة ، فتلك عقدة العقد فى حياتنا .

ولقد واجهت تلك العقدة قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وظللت أواجهها بعد ذلك كثيرا حتى اتضحت لى زوايا كثيرة كانت الظلال تسقط عليها فتخيفها ، وبدت أمام بصيرتى آفاق كان الظلام الذى ساد وطننا قرونا طويلة يلفها فلا أراها !

٢

العمل الايجابى

ولقـد أحسست منذ انبثق الوعى فى وجدانى ، أن العمل الايجابى يجب أن يكون طريقنا ... ولكن أى عمل !

ولقد تبدو كلمة « العمل الايجابى » على الورق كافية لتحل المشكلة ، ولكنها فى الحياة ، وفى الظروف العسيرة التى عاشها جيلنا ، وفى المحن التى كانت تنشب أظفارها فى مقدرات وطننا ، لم تكن كافية !

٣

ليس هو المظاهرات ...

وفى فترة من حيـــاتى كانت الحماسة هى العمل الايجابى فى تقديرى .

ثم تغير مثلى الأعلى فى العمل الايجابى وأصبحت أرى أنه لا يكفى أن تضج أعصابى وحدى بالحماسة ، وانما على أن أنقل حماستى كى تضج بها أعصاب الآخرين ...

وفى تلك الأيام قدت مظاهرات فى مدرسة النهضة ، وصرخت من أعماقى بطلب الاستقلال التام ، وصرخ ورائى كثيرون ؛ ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح أصداء واهنة لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور .

٤

وليس هو اجتماع الزعماء ...

ثم أصبح العمل الايجابى فى رأيى أن يجتمع كل زعماء مصر ليتحدوا على كلمة واحدة ، وطافت جموعنا الهاتفة الثائرة بيوتهم واحداً واحداً تطلب اليهم باسم شباب مصر أن يجتمعوا على كلمة واحدة ؛ ولكن اتحادهم على كلمة واحدة كان فجيعة لايمانى ؛

فان الكلمة الواحدة التى اجتمعوا عليها .كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ (١) .

٥
وليس هو الاغتيالات السياسية ...

وجاءت الحرب العالمية الثانية وما سبقها بقليل على شبابنا ، فألهبته وأشاعت النار فى خلجاته ، فبدأ اتجاهنا ، اتجاه جيل بأكمله ، يسير الى العنف .

وأعترف ــ ولعل النائب العام لا يؤاخذنى بهذا الاعتراف ــ أن الاغتيالات السياسية توهجت فى خيالى المشتعل فى تلك الفترة على أنها العمل الايجابى الذى لا مفر من الاقدام عليه اذا كان يجب أن ننقذ مستقبل وطننا .

وفكرت فى اغتيال كثيرين وجدت أنهم العقبات التي تقف بين وطننا وبين مستقبله ، ورحت أعد جرائمهم ، وأضع نفسى موضع الحكم على أعمالهم ، وعلى الأضرار التى ألحقوها بهذا الوطن ثم أشفع ذلك كله بالحكم الذى يجب أن يصدر عليهم .

---

(١) انظر التعليق ، ص ٢٣

وفكرت فى اغتيال الملك السابق وبعض رجاله الذين كانوا يعبثون بمقدساتنا .

ولم أكن وحدى فى هذا التفكير .

ولما جلست مع غيرى انتقل بنا التفكير الى التدبير .

٦

خطط للاغتيال !

وما أكثر الخطط التى رسمتها فى تلك الايام ، وما أكثر الليالى التى سهرتها ، أعد العدة للأعمال الايجابية المنتظرة .

كانت حياتنا فى تلك الفترة كأنها قصة بوليسية مثيرة .

كانت لنا أسرار هائلة ، وكانت لنا رموز ، وكنا نتستر بالظلام ، وكنا نرص المسدسات بجوار القنابل ؛ وكانت طلقات الرصاص هى الأمل الذى نحلم به !

وقمنا بمحاولات كثيرة على هذا الاتجاه ، وما زلت أذكر حتى اليوم انفعالات ومشاعرنا ونحن نندفع فى الطريق الى نهايته ...

٧
الاغتيال جريمة وحشية !

والحق أننى لم أكن فى أعماقى مستريحا الى تصور العنف على أنه العمل الايجابى الذى يتعين علينا أن ننقذ به مستقبل وطننا .

كانت فى نفسى حيرة ، تمتزج فيها عوامل متشابكة ، عوامل من الوطنية ومن الدين ، ومن الرحمة ومن القسوة ، ومن الايمان ومن الشك ، ومن العلم ومن الجهل .

ورويدا رويدا وجدت فكرة الاغتيالات السياسية التى توهجت فى خيالى ، تخبو جذوتها وتفقد قيمتها فى قلبى كتحقيق للعمل الايجابى المنتظر .

وأذكر ليلة حاسمة فى مجرى أفكارى وأحلامى فى هذا الاتجاه ...

كنا قد أعددنا العدة للعمل .

واخترنا واحدا قلنا انه يجب أن يزول من الطريق .

ودرسنا ظروف حياة هذا الواحد ووضعنا الخطة بالتفاصيل .

وكانت الخطة أن نطلق عليه الرصاص وهو عائد الى بيته فى الليل .

ورتبنا فرقة الهجوم التى تتولى اطلاق النار ، ورتبنا فرقة الحراسة التى تحمى فرقة الهجوم ، ورتبنا فرقةتنظيم خطة الافلات الى النجاة بعد تنفيذ العملية بنجاح •

وجاءت الليـلة الموعودة ، وخرجت بنفسى مع جمـاعات التنفيذ •••

وسار كل شيء طبقا لما تصورناه •

كان المسرح خاليا كما توقعنا ، وكمت الفرق فى أماكنها التى حددت لها ، وأقبل الواحد الذى كان يجب ان يزول . وانطلق نحوه الرصاص •

وانسحبت فرقة التنفيذ ، وغطت انسحابها فرقة الحراسة ، وبدأت عملية الافلاتالى النجاة ، وأدرت محرك سيارتى وانطلقت أغادر المسرح الذى شهد عملنا الايجابى الذى رتبناه •

وفجـأة دوت فى سمعى أصوات صراخ وعويل ، وولولة امرأة ، ورعب طفل ، ثم استغاثة متصلة محمومة •

وكنت غارقا فى مجموعة من الانفعالات الثائرة ، والسـيارة تندفع بى مسرعة •

ثم أدركت شيا عجيبا •••

كانت الأصوات ما زالت تمزق سمعى ...

الصراخ ، والعويل ، والواولة ، والاستغاثة المحمومه ...

لقد كنت بعدت عن المسرح بأكثر مما يمكن أن يسرى الصوت ، ومع ذلك بدا ذلك كله كأنه يلاحقنى ويطاردنى .

ووصلت الى بيتى ، واستلقيت على فراشى وفى عقلى حمى ، وفى قلبى وضميرى غليان متصل .

وكانت أصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة تطرق سمعى .

ولم أنم طول الليل ...

٨

خطرات نفس !

بقيت مستلقيا على فراشى فى الظلام ، أشعل سيجارة وراء سيجارة ، وأسرح مع الخواطر الثائرة ، ثم تتبدد كل خواطرى على الأصوات التى تلاحقنى ...

* أكنت على حق ؟

وأقول لنفسى فى يقين :

ـ دوافعى كانت من أجل وطنى !

* أكانت تلك هى الوسيلة التى لا مفر منها ؟

وأقول لنفسى فى شك :

ـ ماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل ؟

* أيمكن حقا أن يتغير مستقبل بلدنا اذا خلصناه من هذا الواحد أو من واحد غيره ، أم المسألة أعمق من هذا ؟

وأقول لنفسى فى حيرة :

ــ أكاد أحس أن المسألة أعمق .

* اننا نحلم بمجد أمة ، فما هو الأهم : أيمضى من يجب أن يمضى ، أم يجىء من يجب أن يجىء ؟

وأقول لنفسى واشعاعات من النور تتسرب بين الخواطر المزدحمة :

ــ بل المهم أن يجىء من يجب أن يجىء ... اننا نحلم بمجد أمة . ويجب أن يبنى هذا المجد !

وأقول لنفسى وما زلت أتقلب فى فراشى فى الغرفة التى ملأها الدخان وتكاثفت فيها الانفعالات :

ــ واذن ؟

وأسمع هاتفا يرد على :

ــ واذن ماذا ؟

وأقول لنفسى فى يقين هذه المرة :

— اذن يجب أن يتغير طريقنا ... ليس ذلك هو العمل الايجابى الذى يجب أن تتجه اليه ... المسألة أعمق جذورا وأكثر خطورة وأبعد أغوارا .

وأحس براحة نفسية صافية ، ولكن الصفاء ما يلبث أن تمزقه هو الآخر أصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة ، تلك التى ما زالت أصداؤها ترن فى أعماقى .

ووجدت نفسى أقول فجأة :

— ليته لا يموت !

وكان عجيبا أن يطلع على الفجر وأنا أتمنى الحياة للواحد الذى تمنيت له الموت فى المساء !

وهرعت فى لهفة الى احدى صحف الصباح ... وأسعدنى أن الرجل الذى دبرت اغتياله ... قد كتبت له النجاة !

٩

الخطوط الأولى للثورة ...

ولكن تلك لم تكن المشكلة الأساسية .

وانما المشكلة الأساسية ... هى العثور على العمل الايجابى !

ومنذ ذلك الوقت بدأ تفكيرنا الحقيقى فى شىء أعمق جذورا وأكثر خطورة وأبعد أغوارا .

وبدأنا نرسم الخطوط الأولى للصورة التى تحققت مساء ٢٣ يوليو : ثورة منبعثة من قلب الشعب ، حاملة لأمانيه ، مكملة لنفس الخطوات التى خطاها من قبل على طريق مستقبله .

ولقد بدأت هذا الحديث بسؤالين :

أولهما : ولكن ما الذى نريد أن نصنعه ؟

والثانى : وما هو طريقنا اليه ؟

وقلت ان الاجابة عن السؤال الأول أمل انعقد عليه الاجماع ، أما السؤال الثانى — طريقنا الى الذى نريد أن نصنعه — فهو الذى أطلت فيه الكلام حتى وصلت الى يوم ٢٣ يوليو !

١٠

اعباء النصر !

ولكن أكان الذى حدث يوم ٢٣ يوليو هو كل ما كنا نريد أن نصنعه !

المؤكد أن الجواب بالنفى ، فان تلك لم تكن الا الخطوة الأولى على الطريق :

والحق أن فرحة النجاح فى ٢٣ يوليو لم تخدعنى ، ولم تصور

لى أن الآمال قد تحققت ، وأن الربيع قد جاء ... بل لعل العكس هو الصحيح .

لقد كانت كل دقيقة تحمل الى انتصارا جديدا للثورة ، تحمل الى فى الوقت نفسه عبئا ضخما ثقيلا تلقيه بلا مبالاة فوق كتفى .

١١

رواسب الماضى

ولقد قلت فى الجزء الأول من هذا الحديث ، انى كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وأنها لا تنتظر الا طليعة تقتحم أمامها السور فتندفع الأمة وراءها صفوفا متراصة منتظمة زاحفة .

وقلت اننى تصورت دورنا على أنه دور الطليعة .وكنت أتصور أنه لن يستغرق أكثر من بضع دقائق يلحق بنا بعدها زحف الصفوف المتراصة المنتظمة

ورسمت أيضا فى ذلك الجزء صورة للخلافات والفوضى والأحقاد والشهوات التى انطلقت من عقالها فى تلك اللحظات ، كل منها يحاول بأنانيته أن يستغل الثورة لتحقيق أهداف بعينها .

ولقد قلت وسأظل أقول ان تلك كانت آقسى مفاجأة فى حياتى!

ولكنى أشهد أنه كان يجب أن أتوقع أن يحدث الذى حدث . . .

لم يكن يمكن أن نضغط على زر كهربائى فتتحقق أحلامنا..

ولم يكن يمكن فى غمضة عين أن تزول رواسب قرون ومخلفات أجيال .

١٢

العنف لا يجدى !

ولقد كان من السهل وقتها ـ وما زال سهلا حتى الآن ـ أن نريق دماء عشرة أو عشرين أو ثلاثين فنضع الرعب والخوف فى كثير من النفوس المترددة ونرغمها على أن تبتلع شهواتها وأحقادها وأهواءها .

ولكن أى نتيجة كان يمكن أن يؤدى اليها مثل هذا العمل ؟

ولقد كنت أرى أن الوسيلة لمواجهة أى مشكلة من المشاكل هو ردها الى أصلها ومحاولة تتبع الينبوع الذى بدأت منه.

وكان من الظلم أن يفرض حكم الدم علينا دون أن ننظر الى الظروف التاريخية التى مر بها شعبنا والتى تركت فى نفوسنا جميعا تلك الآثار وصنعت منا ما نحن عليه الآن .

ولقد قلت مرة انى لا أريد أن أدعى لنفسى مقعد أستاذ التاريخ ، فذلك آخر مايجرى اليه خيالى : وقلت انى بأحاول محاولات تلميذ مبتدىء فى التاريخ .

١٣

ماضينا البعيد

لقد شاء لنا القدر أن نكون على مفرق الطرق من الدنيا .

وكثيرا ما كنا معبرا للغزاة ومطمعا للمغامرين : ومرت بنا ظروف كثيرة يستحيل علينا أن نعلل العوامل الكامنة فى نفوس شعبنا الا اذا وضعناها موضع الاعتبار .

وفى رأيى أنه لايمكن اغفال تاريخ مصر الفرعونى : ثم تفاعل الروح اليونانى مع روحنا ، ثم غزو الرومان : والفتح الاسلامى وموجات الهجرة العربية التى أعقبته .

وفى رأيى أيضا أنه يجب التوقف طويلا عند الظروف التى مرت علينا فى العصور الوسطى ، فان تلك الظروف هى التى وصلت بنا الى ما نحن عليه الآن (١)

---

(١) المقصود هنا بالعصور الوسطى : القرن العاشر الميلادى وما بعده (القرن الرابع الهجرى) ، حين بدأ الوهن يدب فى جسم الدولة الاسلامية وتنازعتها مطامع الأمراء . وفى هذا التاريخ نفسه بدأت الغزوات الصليبية .

١٤
الصليبيون والمغول والمماليك

واذا كانت الحروب الصليبية بداية فجر النهضة فى أوربا (١)

فقد كانت بداية عهود الظلام على وطننا .

---

(١) بدأت الحروب الصليبية أول ما بدأت فى اسبانيا ، حين انفرط عقد الدولة الأموية فى الأندلس وبوزعها « ملوك الطوائف » من حكام الولايات وأمراء المدن فرآها الاسبان فرصة سانحة للقضاء على سلام فى تلك البلاد ، واستثاروا حماسة المسيحيين من أبناء جلدتهم ومن جيرانهم فى فرنسا ومن ذوى دينهم فى ايطاليا وأواسط أوربا لحرب المسلمين حتى يجلوا عن شبه جزيرة الأندلس ، فنشأت المعارك الصليبية الأولى فى تلك البقاع ، ثم استمرت ...

ثم انتقل صدى هذه الدعوة الى فرنسا وايطاليا وأواسط أوربا ، فاذا دعوة أخرى مماثلة تتردد هناك بقصد اجلاء المسلمين عن بيت المقدس وبلاد الشام ، فينتظم تحت رايتها الآلاف من ذوى العصبية المسيحية ويتخذون سبيلهم فى البر والبحر الى الأرض المقدسة ، ومن ثمة كانت تسميتها بالحروب الصليبية ...

على أن هذه الحروب التى بدأت فى القرن العاشر استجابة لدعوة صليبية ، لم تلبث أن انقلبت الى حرب توسع واستعمار ، أو الى مغامرات فرسان يطلبون المجد أو يطمعون فى الغنيمة ، فانتظم تحت رايتها الأفاقون والسفاكون والطامحون الى الامارة والمولعون بالمغامرة وتجار الرقيق وأصحاب الشهوات ، الى طوائف من ذوى الغفلة الدينية الذين يستجيبون لكل دعوة باسم الدين طمعا فى المثوبة دون بحث أو تحقيق . وكان بين المغامرين فى هذه الحروب ملوك وأمراء وفرسان لا يؤمنون بالله خالق ولا يتورعون عن منكر ولا يعرفون فرق ما بين دين ودين ، وانما هى معارك يخوضونها ليكسبوا مالا ، أو ليكسبوا مجدا وسمعة ، أو ليصيروا حكاما وأمراء حين لا مطمع لهم فى الحكم والامارة ببلادهم ، أو ليتسعوا فيما يملكون فيصير لهم عرش هنا وعرش هنالك . !

وقد استطاع بعض أولئك المغامرين أن يحققوا بعض آمالهم ، فأنشئت على امتداد السواحل الشامية أو فى قلب البادية بعض امارات « صليبية » يجلس على عروشها بعض أولئك المغامرين لتنشأ بين بعضهم وبعض فيما بعد حروب ومنافسات دموية لا يذكر فيها اسم الله ولا اسم الصليب ...

فلقد تحمل شعبنا وحده معظم أعباء الحروب الصليبية، وخرج بعدها فقيرا ، معدما ، منهوك القوى ..

وفى نفس الوقت الذى هدته المعركة فيه ، شاءت له الظروف أن يعانى الذل تحت سنابك خيول الطغاة القادمين من المغول والشركس (١) ..

وقد وقع بيت المقدس فى يد بعض أولئك المحاربين الصليبين وظلت تحت حكمهم مئة عام ، ثم استردها المسلمون على يد صلاح الدين ...

على أن وقوع بيت المقدس فى أيديهم — وكانت هى الهدف والغاية — لم يحملهم على انهاء الحروب الصليبية ، فظلت حملاتهم متوالية على سواحل مصر وتونس وغير مصر وتونس من بلاد المسلمين ...

وكان على مصر أكبر العبء فى رد هؤلاء الغزاة المعدين ،وبكفاحها ارتد الصليبيون مدحورين فلم تثبت لهم قدم فى بلد من بلادنا ، بعد حروب دامت ثلاثة قرون ...

وقد كان اتصال أوربا بالشرق فى الحروب الصليبية سببا من أسباب النهضة الأوربية التى استكملت مظاهرها فى القرن الخامس عشر الميلادى ، فقد رأى الاوربيون فى بلادنا من صور الحضارة ما فوق أذهانهم وكشف الغشاوة عن عيونهم وفتح لهم آفاقا من المعرفة ظهرت آثارها بينهم بعد قليل، فكانت هذه الحروب خيرا لهم وشرا علينا

(١) ولم تكد مصر تفرغ من هم الحروب الصليبية حتى كان المغول الزاحفون من وراء سد الصين قد بلغوا فى زحفهم حدود بلادنا ، بعد أن دمروا فى طريقهم اليها بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، ووطئت خيلهم بلاد الشام ، ولم يبق الا ان يأكلونا كما أكلوا كل الامم التى اعترضت سبيلهم منذ خرجوا من مجاهلهم يجتاحون البلاد بالويل والدمار ...

وقد أراد الله أن ينقذ الحضارة ويرد السلام الى الارض بأيدى المصريين ، فانتصرنا على المغول فى موقعة « عين جالوت » من أرض فلسطين فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، ولكن هذا الانتصار كان فاتحة لهم جديد ، فقد مكن للمماليك الشركس — وكان منهم قادة الجيش الذى انتصر على المغول — فصار اليهم عرش مصر يتوارثونه مملوكا عن مملوك ، ثلاثة قرون ، حتى غلبهم الغازى العثمانى على ما كان فى أيديهم من السلطة فى القرن العاشر الهجرى — السادس عشر الميلادى ، وفقدت مصر استقلالها وحريتها

كانوا يجيئون الى مصر عبيدا فيفتكون بأمرائهم ويصبحون هم الأمراء !

وكانوا يساقون اليها مماليك فلا تمضى عليهم فترة فى البلد الطيب الوديع حتى يصبحوا ملوكا !

وأصبح الطغيان والظلم والخراب ، طابع الحكم فى مصر على عهدهم الذى عاشت مصر فى مجاهله قرونا طويلة .

فى تلك الفترة تحول وطننا الى غابة تحكمها وحوش ضارية ، كان المماليك يعتبرونها غنيمة سائغة، وكان الصراع الرهيب بينهم هو على نصيب كل منهم فى الغنيمة .

كانت أرواحنا ، وثرواتنا ، وأراضينا ، هى الغنيمة !

١٥

آثار الاقطاع

وأحيانا حينما أعود الى تقليب صفحات من تاريخنا : أحس بالأسى يمزق نفسى ازاء تلك الفترة التى تكون فيها اقطاع طاغ ، لم يجعل له من عمل الا مص دماء الحياة من عروقنا ، وأكثر من هذا ، سحب بقايا الاحساس بالقوة والكرامة من هذه العروق، وترك فى أعماق نفوسنا تأثيرا يتعين علينا أن نكافح طويلا لكى نتغلب عليه ...

١٦

آثار الماضي في الحاضر

والواقع أن تصوري لهذا التأثير يعطيني في كثير من الأحيان تفسيراً لبعض المظاهر في حياتنا السياسية .

أحيـانا مثلا يخيل الى أن كثيرين يقفون من الثورة موقف المتفرج الذى لايعنيـه من الأمر الا مجرد انتظـار نتيجة معركة يتصارع فيها طرفان لاتربطه بأيهما علاقة .

وأحيانا أثور على هذا الوضع، وأقول لنفسى ولبعض زملائى: لمـاذا لا يقدمون ؟ ولمـاذا لا يخرجون من المكامن التى وضعوا فيها أنفسهم ، ليتكلموا ويتحركوا ؟

ولا أجد تفسيراً لهذا الا رواسب حكم المماليك :

كان الأمراء يتصارعون ، ويتطاحن فرسانهم فى الشوارع ، ويهرع الناس الى بيوتهم يغلقونها عليهم بعيدين عن هذا الصراع الذى لا دخل لهم فيه (١)

---

(١) لتصور الحياة الاجتماعية فى مصر على عهد المماليك ، تقرأ القصص الآتية :

* ابنة المملوك : لمحمد فريد أبى حديد .
* الامير حيدر : لابراهيم جلال
* على باب زويلة : لمحمد سعيد العريان .
* المملوك الشارد : لجورجى زيدان .

١٧
الأماني الحالمة !

وأحيانا نخيل الى أننا نلجأ الى خيالنا نكلفه أن يحقق لنا فى اطار الوهم ما نريده ، ونستمتع نحن بهذا الوهم ونقنع به عن محاولة تحقيقه .

ولم يتخلص كثيرون منا من هذا الشعور بعد ، ولم يهضموا أن البلد بلدهم وأنهم سادته وأصحاب الرأى والأمر فيه .

ولقد ظللت مرة أحاول أن أفهم عبارة كثيراً ما هتفت بها طفلا صغيراً حينما كنت أرى الطائرات فى السماء .

لقد كنت أصيح :

« يا ربنا يا عزيز ... داهيه تاخد الانجليز » .

ولقد اكتشفت فيما بعد أننا ورثنا هذه العبارة عن أجدادنا على عهد المماليك ، ولم تكن يومها منصبة على الانجليز ، وانما حورناها نحن أو حورتها الرواسب الكامنة فينا والتى لم تتغير وان تغير اسم الظالم ، فقد كان أجدادنا يقولون :

« يا رب يا متجلى ... أهلك العثمانلى ! » .

وبنفس الروح التى لم تتغير جرى المعنى على لساننا ، وان تغير اسم « الانجليز » باسم العثمانيين ، طبقا للتغيرات السياسية التى توالت على مصر بين العهدين !

١٨
الحملة الفرنسية

ثم ماذا حدث لنا بعد عهد المماليك ؟

جاءت الحملة الفرنسية ، وتحطم الستار الحديدى الذى فرضه المغول علينا ، وتدفقت علينا أفكار جديدة ، وتفتحت لنا آفاق لم يكن لنا بها عهد .

وورثت أسرة محمد على كل ظروف المماليك ، وان حاولت أن تضع عليها من الملابس ما يناسب زى القرن التاسع عشر .

وبدأ اتصالنا بأوربا والعالم كله من جديد .

بدأت اليقظة الحديثة !

١٩
فى مرحلة النقه بلا وقاية !

وبدأت اليقظة بأزمة جديدة ...

لقد كنا فى رأيى أشبه بمريض قضى زمناً فى غرفة مغلقة ، واشتدت الحرارة داخل الغرفة المغلقة حتى كادت أنفاس المريض تختنق ...

وفجأة هبت عاصفة حطمت النوافذ والأبواب ، وتدافعت

تيارات الهواء الباردة تلسع جسد المريض الذى مازال يتصبب عرقا .

لقد كان فى حاجة الى نسمة هواء ... فانطلق عليه اعصار عات ، وأنشبت الحمى أظفارها فى الجسد المنهوك القوى .

هذا هو ما حدث لمجتمعنا تماما وكانت تجربة محفوفة بالمخاطر !

٢٠
نقلة مفاجئة

كان المجتمع الأوربى قد سار فى تطوره بنظام . واجتاز الجسر بين عصر النهضة من أعقاب القرون الوسطى الى القرن التاسع عشر خطوة خطوة ، وتلاحقت مراحل التطور واحدة اثر أخرى .

أما نحن فقد كان كل شىء مفاجئاً لنا .

كنا نعيش داخل ستار من الفولاذ فانهار فجأة .

كنا قد انقطعنا عن العالم واعتزلنا أحواله . خصوصاً بعد تحول التجارة مع الشرق الى طريق رأس الرجاء الصالح (١) فاذا

---

(١) كانت مصر الى القرن الخامس عشر الميلادى هى طريق المواصلات الوحيد بين أوربا والشرق ، فكانت المتاجر الأوربية تصل الى موانينا فى البحر المتوسط . ثم تعبر البلاد برا الى موانى البحر الأحمر ، ثم تستأنف رحلتها البحرية الى الهند والشرق الاقصى ؛ ولم يكن ثمة طريق غير هذا بين أوربا والشرق ، اذ كانت السفن البحرية لم تعرف بعد طريقا تسلكه فى المحيط الاطلسى الى جنوب افريقيا لتنفذ من ثمة الى المحيط الهندى ، ثم اكتشف البرتغال طريق رأس الرجاء الصالح فى القرن الخامس عشر ، فتحولت اليه تجارة اوربا ، وبدأ عهد العزلة فى مصر ...

نحن نصبح مطمع دول أوربا ومعبرا الى مستعمراتها فى الشرق والجنوب •

وانطلقت علينا تيارات من الأفكار والآراء لم تكن المرحلة التى وصلنا اليها فى تطورنا تؤهلنا لقبولها •

كانت أرواحنا مازالت تعيش فى آثار القرن الثالث عشر ، وان سرت فى نواحيها المختلفة مظاهر القرن التاسع عشر ثم القرن العشرين •

وكانت عقولنا تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التى تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد ، وكان الشوط مضنياً والسباق مروعاً مخيفاً •

٢١

اين الراى العام المتحد القوى ؟

وما من شك فى أن هذا الحال هو المسئول عن عدم وجود رأى عام قوى متحد فى بلادنا ، فان الفارق بين الفرد والفرد كبير ، والفارق بين الجيل والجيل شاسع •

ولقد جاء على وقت كنت أشكو فيه من أن الناس لايعرفون ماذا يريدون ، وأن اجماعهم لاينعقد على طريق واحد يسيرون

فيه ، ثم أدركت بعدها أننى أطلب المستحيل ، وأننى أسقط من حسابى ظروف مجتمعنا ...

اننا نعيش فى مجتمع لم يتبلور بعد ، وما زال يفور ويتحرك ولم يهدأ حتى الآن أو يتخذ وضـــعه المستقر ويواصـــل تطوره التدريجى بعد مع باقى الشعوب التى سبقتنا على الطريق .

٢٢
مصر صنعت معجزة !

وأنا أعتقد دون أن أكون فى ذلك متملقاً لعواطف الناس ، أن شعبنا صنع معجزة ، ولقد كان يمكن أن يضيع أى مجتمع تعرض لهذه الظروف التى تعرض لها مجتمعنا ، وكان يمكن أن تجرفه هذه التيارات التى تدفقت علينا ... ولكننا صمدنا للزلزال العنيف .

صحيح أننا كدنا نفقد توازننا فى بعض الظروف ، ولكننا بصفة عامة ، لم نقع على الأرض .

٢٣
مجتمع غير متجانس

وأنا أنظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التى تعيش فى العاصمة .

الأب مثلا فلاح معمم من صميم الريف .

والأم سيدة منحدرة من أصل تركى •
وأبناء الأسرة فى مدارس على النظام الانجليزى •
وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى •
كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين ••

أنظر الى هذا وأحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى تقاسيها وللتخبط الذى يفترسنا ، ثم أقول لنفسى :

ـ سوف يتبلور هذا المجتمع ، وسوف يتماسك ، وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ، انما ينبغى أن نشد أعصابنا وتتحمل فترة الانتقال •

٢٤

هذه هى اسباب ازمتنا !

تلك اذن هى الأصول التى انحدرت منها أحوالنا اليوم ؛ وهذه هى الينابيع التى تجرى منها أزمتنا ، فاذا أضيف الى هذه الجذور الاجتماعية ، ظروف من أجلها طردنا فاروق ، ومن أجلها نريد تحرير بلادنا من أى جندى غريب ـ اذا أضيف هذا كله بدا لنا الأفق الواسع الذى نعمل فيه ، والذى تهب عليه الرياح من كل ناحية ، وتزمجر فى جنباته العواصف الهوج ، وتتوهج فيه البروق وتهدر الرعود ، والذى قلت انه من الظلم أن يفرض علينا فيه حكم الدم ، مع مراعاة كل هذه الظروف والملابسات •

٢٥
رواد فى طريق القافلة !

واذن ما هو الطريق ؟

وما هو دورنا على هذا الطريق ؟

أما الطريق فهو الحرية السياسية والاقتصادية •

وأما دورنا فيه فدور الحراس فقط ، لا يزيد ولا ينقص ••• لحراس لمدة معينة بالذات ، موقوتة بأجل •

وما أشبه شعبنا الآن بقافلة كان يجب أن تلزم طريقا معينا ، طال عليها الطريق ، وقابلتها المصاعب ، وانبرى لها اللصوص قطاع الطرق ، وضللها السراب ، فتبعثرت القافلة ، كل جماعة منها شردت فى ناحية ، وكل فرد مضى فى اتجاه •••

وما أشبه مهمتنا فى هذا الوضع بدور الذى يمضى فيجمع الشاردين والتائهين ليضعهم على الطريق الصحيح ، ثم يتركهم يواصلون السير •

هذا هو دورنا ولا أتصور لنا دورا سواه •

ولو خطر لى أننا نستطيع أن نحل كل مشاكل وطننا لكنت واهما ، وأنا لا أحب أن أتعلق بالأوهام •

انما لانملك القدرة على ذلك ، ولا نملك الخبرة لنقوم
انما كل عملنا أن نحدد معالم الطريق كما قلت ، وأن
وراء الشاردين فنردهم الى حيث ينبغى أن يبدأوا المسير
نلحق بالسائرين وراء السراب فنقنعهم بعبث الوهم
يجرون وراءه .

٢٦
خسرنا عطف الجماهير !

ولقد كنت مدركا منذ البداية أنها لن تكون مهمة سها
وكنت أعلم مقدما أنها ستكلفنا الكثير من شعبيتنا .

لقد كان يجب أن نتكلم بصراحة ، وأن نخاطب عقول النا
وكان الذين سبقونا قد تعودوا أن يعطوا الوهم ، وأن يعو
للناس ما يريد الناس أن يسمعوه !

٢٧
العقل والغريزة ...

وما أسهل الحديث الى غرائز الناس ، وما أصعب الحد
الى عقولهم !

وغرائزنا جميعا واحدة ، أما عقولنا فموضع الخلاف والتفاو

كان ساسة مصر فى الماضى من الذكاء بحيث أدركوا هذه الحقيقة جهوا الى الغريزة يخاطبونها ، أما العقل فتركوه هائما على جهه فى الصحراء •

وكنا نستطيع أن نفعل نفس الشيء •

كنا نستطيع أن نملأ أعصاب الناس بالكلمات الكبيرة التى تخرج عن حد الوهم والخيال، أو تدفعهم وراء أعمال غير منظمة ، نعد لها العدة أو تتخذ لها أهبة ، أو كنا نستطيع أن نترك صواتهم تبح من كثرة هتافهم :

« يا ربنا يا عزيز •••• داهية تاخد الانجليز » !

تماما كما كان أجدادنا تبح أصواتهم أيام المماليك من كثرة هتافهم :

« يارب يامتجلى ••• أهلك العثمانلى » • !

وبعدها لاشيء !

لكن أكانت تلك مهمتنا التى شاءها لنا القدر ؟

وما الذى كنا نستطيع أن نحققه فعلا اذا سرنا فى هذا سبيل ؟

ولقد قلت فى الجزء الأول من هذا الحديث ان نجاح الثورة

يتوقف على ادراكها لحقيقة الظروف التى تواجهها ، وقدرتها علم
الحركة السريعة .

وأضيف الآن الى ذلك أنها يجب أن تتحرر من آثار الألفاظ
البراقة ، وأن تقـدم على ما تتصور أنه واجبها مهما كان الثم
من شعبيتها ومن الهتاف بحياتها والتصفيق لها !

والا فاننا نكون قد تخلينا عن أمانة الثورة وعن واجباتها .

٢٨
الغاضبون منا !

وكثيرا ما يجيئنى من يقول لى :

ــ لقد أغضبتم كل الناس !

وعلى مثل هذه الملاحظة أرد دائما :

ــ ليس غضب الناس هو العامل المؤثر فى الموقف ، وا
السؤال : هل كان الذين أغضبوهم يعملون لصالح الوطن أو لغيره

أنا أدرك أننا أغضبنا كبار الملاك ...

لكن ، هل كان يمكن ألا نغضبهم ونترك تربة وطننا ، وفيـ
من يملك منها عشرات الألوف من الأفدنة وفينا من لا يملك قطع
يدفن فيها بعد أن يموت !

وأنا أدرك أننا أغضبنا الساسة القدماء ...

ولكن ، هل كان يمكن ألا نغضبهم ونترك تربة وطننا فريسة لنهواتهم وفسادهم وصراعهم على مغانم الحكم ؟

وأنا أدرك أننا أغضبنا عددا كبيرا من الموظفين ...

ولكن ، هل كان يمكن أن نعطى أكثر من نصف ميزانيةالدولة مرتبات للموظفين ولانستطيع — كما صنعنا بالفعل — أن نخصص أربعين مليونا من الجنيهات للمشروعات الانتاجية ؟

ماذا علينا لو كنا فتحنا — كما فعل غيرنا — خزائن الدولة ووزعنا ما فيها على الموظفين وليكن بعد ذلك الطوفان ... وليكن — أيضا — أن يجىء العام القادم فلا تستطيع الحكومة أن تدفع مرتبات موظفيها أصلا وأساسا ؟

وما كان أسهل أن نرضى هؤلاء جميعا وغيرهم ... ولكن ، ماهو الثمن الذى كان وطننا سيدفعه من آماله ومستقبله فى مقابل هذا الرضا ؟

٢٩
واجبنا فى الحاضر وفى المستقبل

ذلك دورنا الذى حدده لنا تاريخ وطننا ، ولا مفر أمامنا من أن نقوم به ، مهما كان الثمن الذى قد ندفعه .

ولم نخطىء أبدا فى فهم هـــــذا الدور ، ولا فى ادراك طبيعة الواجبات التى يلقيها علينا .

تلك خطوات لاصــلاح آثار الماضى ورواسبه ، مضينا فيها وتحملنا من أجلها كل شىء .

فلما جاء الكلام عن المستقبل قلنا اننا لا نملك هذا وحدنا .

* من أجل ضمان الحياة السياسية فى المستقبل ، ذهبنا الى عدد من قادة الرأى من مختلف الطبقات والعقائد وقلنا لهم :

ضعوا للبلد دستورا يصون مقدساته .

وكانت لجنة وضع الدستور .

* ومن أجل ضمان الحياة الاقتصادية فى المستقبل ، ذهبنا الى أكبر الأساتذة فى مختلف نواحى الخبرة وقلنا لهم :

— نظموا للبلد رخاءه واضمنوا لقمة العيش لكل فرد فيه .

وكان مجلس الانتاج .

تلك حدودنا لم نتعدها :

ازالة الصخور والعقبات من الطريق ، مهما كان الثمن ، واجبنا .

والعمل للمستقبل من كل نواحية مفتــوح لكل ذوى الرأى والخبرة ، فرض لازم عليهم ، وليس لنا أن نستأثر به دونهم ، بل ان مهمتنا تقتضى أن نسعى لجمعهم من أجــل مستقبل مصر ... مصر القوية المتحررة !

الجزء الثالث

١
مكاننا من العالم

مرة ثالثة أعود الى فلسفة الثورة .

أعود اليها بعد غيبة طويلة امتدت الى أكثر من ثلاثة شهور حافلة بالأحداث السريعة والتطورات المتلاحقة .

ثلاثة شهور حاولت خلالها أكثر من مرة أن أجد الساعات التى أسجل فيها هـذه الخواطر عن فلسفة الثـورة ، فعصفت رياح الأحداث السريعة والتطورات المتلاحقة بهذه المحاولات وبعثرتها فى الفضاء .

ولكن الرياح التى عصفت بمحاولات التسـجيل لم تعصف بالخواطر نفسها ، وصحيح أن هذه الخواطر لم تجر على ورق ، ولكنها ظلت تدور فى تفكـيرى وتتفاعل مع غـيرها وتبحث عن تفاصيل أخرى ، سواء فى ذاكرتى أو فى الأيام ، تضيفهـا اليهـا لتكمل بها صورة صحيحة واضحة .

ولكن ماهى الصورة الصحيحة الواضحة التى أريد أن أرسمها هـذه المرة ، وما هى علاقتها بالمحاولات التى قمت بها قبل ذلك

فى الجزء الأول ثم فى الجزء الثانى من هذه الخواطر عن فلسفة الثورة ؟

لقد تحدثت فى الجزء الأول عن بداية الثورة فى نفوسنا كأفراد وفى نفوسنا كنماذج عادية من شباب جيلنا ، وعن الثورة فى تاريخ أمتنا ، وعن يوم ٢٣ يوليو فى هذه الثورة .

وفى الجزء الثانى تحدثت عن محاولات على طريق الثورة وكيف حدد لنا تاريخ شعبنا هذه الطريق ، سواء فى نظرتنا المليئة بالعبر الى الماضى ، أو فى تطلعنا المفعم بالأمل الى المستقبل .

واذن فقد كان حديثى فى الجزأين السابقين عن الزمان ، ومن هنا أشعر بأن المكان يطالب بحقه ، واذن فليكن الحديث فى هذه المرة عنه .

٢

اثر الزمان والمكان

وليس هدفى أن أدخل فى بحث فلسفى معقد عن الزمان والمكان ، وانما الذى لا شك فيه هو أن العالم كله ، وليس وطننا فحسب ، هو نتيجة لتفاعل الزمان والمكان .

واذا كنت أقول اننا فى تصويرنا لأحوال وطننا لا نستطيع أن

ننسى عنصر الزمان ، فاننا أيضا وبنسبة متساوية لا نستطيع أن ننسى عنصر المكان •

وبعبارة أبسط :

نحن الآن لا نستطيع أن نعود الى القرن العاشر ، نرتدى ملابسه التى تبدو لعيوننا غريبة مضحكة ، ونتوه فى أفكاره التى تظهر أمامنا اليوم أطباقا من الظلام خلت من كل شعاع •

وكذلك نحن الآن لانستطيع أن نتصرف على أننا قطعة من ألاسكا المتعلقة بأقصى أصقاع الشمال ، أو على أننا جزيرة «ويك» النائية المهجورة فى تيه الباسفيك •

الزمان اذن يفرض علينا تطوره •

والمكان أيضا يفرض علينا حقيقته •

ولقد حاولت مرتين أن أمضى مع الزمان . فلأحاول هذه المرة أن أتجول فى عالم المكان •

٣
لقد مضى عهد العزلة !

وثمة شيء يجب أن نتفق عليه أولا وقبل أن نمضى فى هذا الحديث ، ذلك هو تعريف حدود المكان بالنسبة لنا •

ان قال لى أحد أن المكان بالنسبة لنا هو هذه العاصمة التى

نعيش فيها فانى أختلف معه ...

وان قال لى أحد ان المكان بالنسبة لنا هو حدود بلادنا السياسية فانى أيضاً أختلف معه ...

ولو كان الأمر كله محصورا فى حدود عاصمتنا أو فى حدود بلادنا السياسية لهان الأمر ، ولأقفلنا على أنفسنا كل الأبواب وعشنا فى برج عاجى نحاول أن نبتعد به بقدر مانستطيع عن العالم ومشاكله وحروبه وأزماته تلك التى تقتحم علينا أبواب بلادنا وتؤثر فينا دون أن يكون لنا فيها دخل أو نصيب .

لقد مضى عهد العزلة .

وذهبت الأيام التى كانت فيها خطوط الأسلاك الشائكة التى تخطط حدود الدول تفصل وتعزل .

ولم يعد مفر أمام كل بلد من أن يدير البصر حوله خارج حدود بلاده ليعلم من أين تجيئه التيارات التى تؤثر فيه ، وكيف يمكن أن يعيش مع غيره ، وكيفه ... ، وكيف ...

ولم يعد مفر أمام كل دولة من أن تجيل البصر حولها تبحث عن وضعها وظروفها فى المكان ، وترى ماذا تستطيع أن تفعل فيه وما هو مجالها الحيوى وميدان نشاطها ودورها الايجابى فى هذا العالم المضطرب .

٤

دورنا الايجابى فى العالم

وأنا أجلس أحيانا فى غرفة مكتبى وأسرح بخواطرى فى نفس هذا الموضوع أسائل نفسى :

— ما هو دورنا الايجابى فى هذا العالم المضطرب ؟ وأين هو المكان الذى يجب أن نقوم فيه بهذا الدور ؟ .

وأستعرض ظروفنا . فأخرج بمجموعة من الدوائر لامفر لنا من أن يدور عليها نشاطنا وأن نحاول الحركة فيها بكل طاقتنا .

ان القدر لايهزل ، وليست هناك أحداث من صنع الصدفة. ولا وجود يصنعه انهباء .

ولن نستطيع أن ننظر الى خريطة العالم نظرة بلهاء لاندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان .

(ا) أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها ... حقيقة وفعلا وليس مجرد كلام ؟

(ب) أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة أفريقية ، شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا ، سواء أردنا أو لم نرد ؟

(حـ) أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالما اسلاميا تجمعنا واياه روابط لاتقر بها العقيدة الدينية فحسب ، وانما تشدها حقائق التاريخ كذلك ؟

وكما قلت مرة : ان القدر لايهزل •

فليس عبثا أن بلدنا فى جنوب غرب آسيا يلاصق الدول العربية وتشتبك حياته بحياتها •

وليس عبثا أن بلدنا فى شمال شرق أفريقيا ، ويطل من عل على القارة السوداء التى يدور فيها اليوم أعنف صراع بين مستعمريها البيض وأهلها السود من أجل مواردها التى لاتحد •

وليس عبثا أن الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى الذى أغار عليه المغول الذين اكتسحوا عواصم الاسلام القديمة ــ تراجع

الى مصر وأوى اليها فحمته مصر وأنقذته عندما ردت غزو المغول على أعقابه فى عين جالوت (١)

كل هذه حقائق أصيلة ذات جذور عميقة فى حياتنا ،لانستطيع مهما حاولنا ، أن ننساها أو نفر منها .

٥

هذا المسرح فى حاجة الى بطل !

ولست أدرى لماذا أذكر دائما عندما أصل إلى هذه المرحلة من أفكارى وأنا جالس وحدى فى غرفتى شاردا مع الأفكار : قصة مشهورة للشاعر الايطالى الكبير «لويدجى بيراندلو» أسماها : ست شخصيات تبحث عن ممثلين !

ان ظروف التاريخ مليئة بالأبطال الذى صنعوا لأنفسهم أدوار بطولة مجيدة قاموا بها فى ظروف حاسمة على مسرحه .

---

(١) دمر المغول فى طريقهم الينا كل مقومات الحضارة فى البلاد التى وطئتها أقدامهم ، ثم دمرتهم مصر ، فصار عليها وحدها أن تحمى تراث الحضارة ، وأن تنشر آثارها ، فقد ذهب كل التراث ، فى كل البلاد ، ولم يبق الا مصر ...

وقد عرفت مصر واجبها فى هذا الشأن ، فأعادت الخلافة العباسية ، وآوتها ، وحفظت لها رسومها وحقها فى التوجيه والنصح والارشاد ، ولاءمت بين حالة مصر السياسية فى ذلك الزمان وبين واجبها هذا الجديد ، فلم تلبث أن صارت حاضرة الاسلام ، عليها عبء التوجيه العام فى كل بلاد المسلمين ، ومن علومها وفنون حضارتها يقتبس المسلمون فى شتى بقاع الارض ، وباسمها يتغنى كل عربى وكل مسلم فى الشرق والغرب .

(وانظر التعليق ص ٧٢

وان ظروف التاريخ أيضاً مليئة بأدوار البطولة المجيدة التى لم تجد الأبطـال الذين يقومون بها على مسرحه ، ولست أدرى لمـاذا يخيل الى دائماً أن فى هذه المنطقة التى نعيش فيهـا دوراً هائماً عـلى وجهـه يبحث عن البطـل الذى يقوم به ، ثم لست أدرى لمـاذا يخيل الى أن هـذا الدور الذى أرهقه التجوال فى المنطقة الواسعة الممتدة فى كل مكان حولنا ، قد استقر به المطاف متعباً منهوك القوى على حدود بلادنا يشير الينا أن نتحرك ، وأن ننهض بالدور ونرتدى ملابسه ، فان أحدا غيرنا لايستطيع القيام به.

وأبادر هنا فأقول ان الدور ليس دور زعامة.

انما هو دور تفاعل وتجارب مع كل هـذه العوامل يكون من شأنه تفجير الطلقة الهائلة الـكامنة فى كل اتجاه من الاتجاهات المحيطة بها ، ويكون من شأنه تجربة لخلق قوة كبيرة فى هذه المنطقة ترفع من شأن نفسها وتقوم بدور ايجابى فى بناء مستقبل البشر.

٦
الدائرة العربية

وما من شـك فى أن الدائرة العربية هى أهم هـذه الدوائر وأوثقها ارتباطاً بنا.

فلقد امتزجت معنا بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا

نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك (١)

وامتزجت هـذه الدائرة معنا أيضا بالدين ، فنقلت مراكز الاشعاع الدينى ، فى حدود عواصمها ، من مكة ، الى الكوفة... ثم الى القاهرة (٢) .

أصبحت طالباً فى الكلية الحربية ، أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة ، وأدرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الآخير فريسة سهلة تتخطفها أنياب مجموعة من الوحوش الجائعة !

---

(١) (ا) حين زحف الصليبيون على بلادنا ، كانت فلسطين ، ولبنان ، وسوريا ، ومصر ، وشمال افريقيا ، هدفا مشتركا من أهداف الاستعمار الصليبى .

(ب) وحين زحف المغول على بلاد المسلمين والعرب ، كانت مصر هدف المغول الاخير ، بعد أن دمرت بغداد ووطئت بلاد الشام جميعا ...

(جـ) وحين أغار العثمانيون على بلادنا وسلبونا استقلالنا فى القرن السادس عشر ، فعلوا مثل ذلك بالشام ، والعراق ، والجزيرة العربية ، وشمال افريقيا ، الى حدود مراكش ...

(د) وحين بدأ الاستعمار الاوربى — بمصطلحاته الجديدة — يبسط سلطانه على بلادنا ، لم يستثن بلدا واحدا من بلاد العرب :

لقد كنا جميعا هدفا مشتركا فى كل مراحل التاريخ !

(٢) نشأ الاسلام بمكة ، ثم هاجر النبى عليه الصلاة والسلام الى المدينة فصارت هى عاصمة الاسلام فى عصر النبى والخلفاء الثلاثة من بعده ، ثم صارت الكوفة هى عاصمة الاسلام فى خلافة على ، ثم صارت دمشق ، ثم صارت بغداد ، ثم انتقلت الخلافة والخليفة الى القاهرة فى القرن السابع الهجرى ، بعد ان دمر المغول بغداد !

ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هـذه العوامل التاريخية والمـادية والروحية .

وأنا أذكر فيما يتعلق بنفسى ، أن طلائع الوعى العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وأنا طالب فى المدرسة الثانوية أخرج مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر ديسمبر من كل سنة احتجاجاً على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطنـاً قومياً فى فلسطين اغتصبته ظلماً من أصحابه الشرعيين (١) .

٧

فلسطين ... بلدنا !

وحين كنت أسـائل نفسى فى ذلك الوقت : لمـاذا أخرج فى حماسة ؟

ولمـاذا أغضب لهذه الأرض التى لم أرها ؟

لم أكن أجد فى نفسى سوى أصداء العاطفة .

ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيرى حول هذا الموضوع كلما

---

(١) كان اول عدوان بريطانيا على حق العرب فى فلسطين ، أن وزيرها « بلفور » وعد اليهود فى ٢ ديسمبر سنة ١٩١٧ ، بأن يتيح لهم وطنا قوميا فى فلسطين ، ثمنا لمـا أدوا لبريطانيا من خدمات فى الحرب العالمية الاولى ، ولكنه ثمن يؤديه من غير ما يملك ...

ومنذ ذلك التاريخ ، اعتبر يوم ٢ ديسمبر من كل عام ، يوما مشئوما من أيام العرب ، يعلنون فيه سخطهم على غدر بريطانيا ، وحرصهم على الاحتفاظ بفلسطين عربية لاهلها .

ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الأعمدة التى تتركز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وأنا طالب فى كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل .

ولما بدأت أزمة فلسطين ، كنت مقتنعاً فى أعماقى بأن القتال فى فلسطين ليس قتالا فى أرض غريبة ، وهو ليس انسياقاً وراء عاطفة ، وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس !

٨
دفاع عن فلسطين !

وأذكر يوماً عقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، عقد فيه الضباط الأحرار اجتماعاً (١) . واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين ، وذهبت فى اليوم التالى أطرق باب بيت الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين — وكان ما يزال يعيش فى الزيتون — وأقول له :

— انكم فى حاجة الى ضباط يقودون المعارك ويدربون

---

(١) لما اشتدت مقاومة العرب فى فلسطين للاستعمار الصهيونى ، أرادت بريطانيا ان تعالج الامر على وجه ما ، لتكسر حدة المقاومة العربية ، فاستصدرت قرارا من الامم المتحدة فى سنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، فأبى العرب ان تمزق وحدة بلادهم ، وازدادوا هياجا وثورة ، وثارت لثورتهم البلاد العربية جميعا .. وخلال هذه الثورة ، كان الضباط الاحرار فى مصر يدبرون امرهم ليقوموا بواجبهم فى الكفاح من أجل عروبة فلسطين ..

المتطوعين . وفى الجيش المصرى عدد كبير من الضباط يريد أن يتطوع . وهم تحت أمرك فى أى وقت تشاء !

وقال لى الحاج أمين الحسينى انه سعيد بهذه الروح ، ولكنه يرى أن يستأذن الحكومة المصرية قبل أن يقول شيئاً .

ثم قال لى الحاج أمين :

— سوف أعطيك ردى بعد استئذان الحكومة .

وعدت اليه بعد أيام . وكان رده . الرد الذى حصل عليه من الحكومة هو الرفض (١) !

ولم نسكت ...

وبعدها كانت مدفعية أحمد عبد العزيز (٢) تدك المستعمرات اليهودية جنوبى القدس . وكان قائد المدفعية هو كمال الدين حسين عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار التى تحولت اليوم الى مجلس قيادة الثورة (٣) .

وأذكر سراً آخر كان ذات يوم أغلى أسرار الضباط الأحرار .

(١) كان رئيس حكومة مصر فى ذلك التاريخ ، هو محمود فهمى النقراشى .

(٢) انظر الهامش ص ٢٨

(٣) وهو وزير التربية والتعليم فى حكومة الثورة . وانظر ص ٢٨.

كان حسن ابراهيم (١) قد سافر الى دمشق واتصل ببعض
ط فوزي القاوقجي (٢) ، وكان القاوقجي يقود قوات التحرير
بية وتستعد لمعركة حاسمة فاصلة فى المنطقة الشمالية من فلسطين .
ووضع حسن ابراهيم ، وعبداللطيف بغدادى (٣) ، خطة جريئة
ام بعمل حاسم فى المعركة التى تستعد لها قوات التحرير .

وكانت الخطوط البارزة فى تلك الخطة هى أن قوات التحرير
بية لا تملك طيراناً يساعدها فى المعركة ويرجح النصر الى كفتها،
نها حصلت على معونة من الجو بضرب مركز فوق ميدان
ية . لكان ذلك عاملا فاصلا . ولكن من أين لقوات التحرير
ية بالطيران لتحقيق هذا الحلم ؟

ولم يتردد حسن ابراهيم وعبد اللطيف بغدادى . وانما قررا
تقوم سلاح الطيران المصرى بهذه المهمة .

ولكن كيف ؟

---

(١) هو عضو مجلس قيادة الثورة ، ووزير الدولة فى حكومة الثورة .

(٢) هو مجاهد عربى ، أصله من لبنان ، وكان له نضال ضد اليهود فى معارك فلسطين
برل تحت الانتداب البريطانى ، ثم كان قائدا لقوات التحرير العربية فى
فلسطين .

(٣) هو عضو مجلس قيادة الثورة ، ووزير الحربية ، ثم وزارة الشئون البلدية
فى حكومة الثورة ، وكان رئيسا لمحكمة الثورة . وهو زميله حسن ابراهيم —
طيران .

ولم تكن مصر قد دخلت حرب فلسطين ، وكان جو الرقا
على القوات المسلحة ــ بما فيها سلاح الطيران ــ حذرا متيقظا
ومع ذلك لم يجد اليأس ثغرة ينفذ منها الى تفاصيل الخطة ،
بدأت فى مطار سلاح الطيران حركة عجيبة ... وبرز فيه
نشاط واسع لاصلاح طائرات واعدادها ، وجهود واضحة فى
التدريب سرت كالحمى فى نفوس عدد من الطيارين .

ولم يكن هناك الا قلائل يعرفون السر ...

يعرفون أن الطائرات وقوادها قد أعدوا ليوم تجىء فيه م
سوريا اشارة سرية : ينطلقون بعدها الى الجو ليشتركوا بكا
قوتهم فى معركة حاسمة على الأرض المقدسة ، ثم يتجهون بع
ذلك الى مطار قرب دمشق : ينزلون فيه ويترقبون الأحوال ف
مصر ، ويتعرفون صدى هذه الحركة التى أقدموا عليها .
يقررون كيف يتصرفون بعدها !

وكان أرجح الاحتمالات أن يحاكم كل طيار اشترك فى هذ
العملية . وأذكر أن كثيرين كانوا قد رتبوا أمورهم على
الظروف ربما تحول بينهم وبين العودة الى الوطن قبل سنوا
قد تطول وتمتد ...

وكان شعورنا فى اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار

المؤكد أن نفس الشعور كان يراود خواطر كل الطيارين
شتركين فى السر الكبير ـ أن هذه المخاطر الجريئة لم تكن
با فى المغامرة ، ولا كانت رد فعل للعاطفة فى نفوسنا ، انما كانت
عيا ظاهرا لايماننا بأن رفح ليست آخر حدود بلادنا ، وأن نطاق
لامتنا يقضى علينا أن ندافع عن حدود اخواننا الذين شاءت لنا
نكام القدر أن نعيش معهم فى منطقة واحدة .

ولم تتم الخطة يومها ... لأننا لم تتلق الاشارة السرية
ن سوريا .

وقضت الظروف بعدها أن تدخل الجيوش العربية كلها
رب فى فلسطين .

٩
درس من فلسطين ...

ولست أريد أن أدخل فى تفاصيل حرب فلسطين ـ الآن ـ
لك بحث تتشعب فيه الأحاديث ، وانما يعنينى من حرب
سطين درس عجيب .

لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة ،
ن فهذه الشعوب جميعا تتشارك فى شعورها وفى تقديرها
دود سلامتها .

ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة ؛ وا
فهى جميعـا ، كل منها فى بلاده ، قد تعرضـت لنفس العـوا
وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست رأسـ
بالذل والعار .

١٠
بلاد العرب منطقة واحدة !

ولقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة فى خنادق عراق المنشية
وفى جحورها .

وكنت يومها أركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تـ
فى ذلك القطاع وتدافع عنه أحيانا وتهاجم فى أكثر الأحيان .

وكنت أخرج الى الأطلال المحطمة من حـولى بفعـل نـ
العدو ، ثم أسبح بعيدا مع الخيال .

وأحيانا كانت الرحلة مع الخيال تمضى بى بعيدا الى آ
النجوم ، فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المناطق كلها .

---

(١) منطقة الفالوجة ، وكان لحاميتها بلاء عظيم فى الدفاع عنها ، فقد صـ لحصار العدو أشهرا بلا زاد ولا عتاد ، حتى ضاق المحاصرون ذرعا ولم ينفذ المحصورين او تضعف نفوسهم . وقد عرفت مصر لابطال الفالوجة بلاءهم فى المعركة فاستقبلتهم استقبالا عظيما ، وكان اسمهم على كل لسان فى مصر وفى كل عربى ... وكان بينهم جمال عبد الناصر ...

وكانت الصورة تبدو فى ذلك الوقت واضحة أمام بصيرتى •
هذا هو المكان الذى نقبع محاصرين فيه ، هذه مواقع كتيبتنا،
ذه مواقع الكتائب الأخرى المشتركة معنا على الخط •
وهذه قوات العدو تحيط بنا •
وهذه قوات أخرى لنا ••• هى أيضا محاصرة لا تستطيع
ركة الواسعة وان بقى لها مجال للمناورة المحدودة •
ان الظروف السياسية المحيطة بالعاصمة التى تتلقى منها
وامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا أكثر من الذى تصنعه بنا
ن القابعين فى منطقة الفالوجة •
ثم هذه قوات اخواننا فى السلاح وفى الوطن الكبير وفى
لحة المشتركة وفى الدافع الذى جعلنا نهرول الى أرض
طين •••
هذه هى جيوش اخواننا ••• جيشا جيشا •• كلها هى أيضا
رة ••• بفعل الظروف التى كانت تحيط بها والتى كانت
بحكوماتها •• لقد كانت جميعا تبدو كقطع شطرنج لا قوة
ولا ارادة الا بقدر ماتحركها أيدى اللاعبين •
وكانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة
كة أخفت عنها عمدا حقيقة مايجرى ، وضللتها حتى عن
ودها نفسه •

١١

أطفال فلسطين ... أطفالنا!

وأحيانا كنت أهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الأر
فأحس أننى أدافع عن بيتى وعن أولادى ، ولا تعنينى الحـ
الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ !

وكان ذلك عندما ألتقى فى تجوالى فوق الأطلال المحطمة بـ
أطفال اللاجئين الذين سقطوا فى براثن الحصار بعـد أن خـ
بيوتهم وضاع كل ما يملكون ، وأذكر بينهم طفلة صغيرة كا
مثل عمر ابنتى ، وكنت أراها وقد خرجت الى الخطر والرصـ
الطائش مندفعة أمام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمـة
أو خرقة قماش .

وكنت دائما أقول لنفسى :

— قد يحدث هذا لابنتى !

وكنت مؤمنا بأن الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن
— وما زال احتمال حدوثه قائما — لأى بلد فى هذه المنطقة ما
مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الآن .

١٢
بعد المعركة

ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى
لن ، كانت المنطقة كلها فى تصورى قد أصبحت كلاً واحداً .

وأيدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى .
كنت أتابع تطورات الموقف فيها فأجده أصداء يتجاوب
بها مع بعض .

كان الحادث يقع فى القاهرة ، فيقع مثيل له فى دمشق غداً ، وفى
ت ، وفى عمان ، وفى بغداد ، وغيرها(١) .

وكان ذلك كله طبيعياً مع الصورة التى رسمتها التجارب فى
ن .

منطقة واحدة ، ونفس الظروف ، ونفس العوامل ... بل
س القوى المتألبة عليها جميعاً !

وكان واضحاً أن الاستعمار هو أبرز هذه القوى .
حتى اسرائيل نفسها ، لم تكن الا أثراً من آثار الاستعمار .

---

(١) كان مصرع محمود فهمى النقراشى فى القاهرة ، ومصرع رياض الصلح فى
، ومصرع الملك عبد الله فى عمان ، وثورة حسنى الزعيم فى دمشق ، ثم الثورة
بة الكبرى فى سنة ١٩٥٢ ، وكلها أصداء متجاوبة تتصل بأسباب من نكبة
طين .

فلولا أن فلسطين وقعت تحت الانتداب البريطانى ما استطا
الصهيونية أن تجـد العون على تحقيق فكرة الوطن القومى
فلسطين ، ولظلت هذه الفكرة خيالا مجنوناً ليس له أى أمل فى واق

١٣
مذكرات وايزمان

وأنا أكتب هذه الخوطر وأمامى مذكرات حاييم وايزمان رئ
جمهورية اسرائيل ومنشئها الحقيقى(١) ، وهى المذكرات التى نشر
فى كتابه المشهور « التجربة والخطأ » ، وثمة عبارات معينـة ذا
طابع خاص تستوقفنى فيه •

* يستوقفنى قول وايزمان :

(١) « لقد كان يجب أن تساعدنا دولة كبرى ، وكانت فى ال
دولتان تستطيع كل منهما مساعدتنا : ألمانيا وبريطانيا •

« أما ألمانيا فقد آثرت أن تبتعد عن كل تدخل •••

« وأما بريطانيا فقد أحاطتنا بالرعاية والعطف » •

ويستوقفنى بعد ذلك قول وايزمان :

(ب) « ولقد حدث فى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد
فى سويسرا ، أن وقف هرتزل (٢) يعلن يهود الدنيـ

---

(١) انظر « هذه هى الصهيونية » من مجموعة « اخترنا لك »

(٢) هرتزل ، او هرزل : صاحب فكرة الصهيونية الاول . انظر كتاب
«هى الصهيونية » •

بريطانيا العظمى ، وبريطانيا العظمى وحدها دون كل دول الأرض ، قد اعترفت باليهود كأمة ذات كيان مستقل ، منفصلة عن غيرها ، وأننا نحن اليهود خليقون بأن يكون لنا وطن ، وبأن تكون لنا دولة ، وقرأ هرتزل خطابا من اللورد لانرسون نائبا عن الحكومة البريطانية يتضمن هذا المعنى . وكان هذا الخطاب يقدم لنا أرض أوغندا لتكون وطناً قومياً .

وقرر أعضاء المؤتمر قبول هذا العرض .

« ولكننا بعد ذلك كتمنا أنفاسه فى المهد ودفناه دون ضجة .

« وعادت بريطانيا تريد أن تسترضينا .

« وعرضت علينا منطقة سيناء ...

« وعلى أثر هذا العرض ألفنا لجنة من عدد كبير من علماء يهود سافروا الى مصر لدراسة منطقة سيناء ، وقابلوا فى القاهرة لورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر الذى أظهر كل العطف على أبنا فى الوطن القومى .

« ولكن اللجنة لم تجد فى منطقة سيناء مايفى بالغرض الذى من أجله نريد الوطن القومى .

« ولقد قابلت بعدها لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذ
بادر بسؤالى على الفور :

ـ لماذا لم تقبلوا اقامة الوطن القومى فى أوغندا ؟

« وقلت لبلفور :

ـ ان الصهيونية حركة سياسية قومية . هذا صحيح . ولك
الجانب الروحى منها لايمكن اغفاله ، وأنا واثق تمام الوثوق أننا ا
أغفلنا الجانب الروحى فإننا لن نستطيع تحقيق الحلم السيا
القومى .

ـ ماذا تقول لو أن أحدا قال لك خذ باريس بدلا من لند
هل تقبل ؟ » .

* * *

* ويستوقفنى أيضاً قول وايزمان :

(جـ) « وعدت الى لندن فى خريف سنة ١٩٢١ : و؟
الغرض من رجوعى أننى دعيت الى لندن لأشرف على كتابة مشر
وثيقة الانتداب البريطانى فى فلسطين .

« وكان يجب أن تعرض هذه المسودة على عصبة الأمم لتت
بها قرارا ، بعد أن وافق مؤتمر سان ريمو على فكرة الانتدا
نفسها .

« وكان لورد كيرزون قد ولى وزارة الخارجية محل بلفور ، وكان هو المسئول عن وضع مشروع الوثيقة .

« وكان معنا فى لندن القانونى الشهير ابن كوهين ؛ وهو من أقدر واضعى الصيغ القانونية فى العالم . وكان ايريك فوريس آدام سكرتير كيرزون يتعاون معنا .

« ووقع بيننا وبين كيرزون خلاف أول وأخير :

« كتبنا نحن فى مشروع الوثيقة عبارة أردنا بها أن نقيد بريطانيا بوعد بلفور : وبأن تكون خطتها فى فلسطين قائمة على أساس الوطن القومى لليهود . وكان نص العبارة التى كتبناها نحن :

« والاعتراف بحقوق اليهود التاريخية فى فلسطين » .

« وقال كيرزون انه يقترح تخفيف العبارة حتى لا يهيج العرب عند قراءتها . وقال انه يرى أن تكون كما يلى :

« والاعتراف بصلات اليهود وعلاقتهم التاريخية فى فلسطين »

وكنت أود أن أستطرد طويلا مع وايزمان فى « التجربة والخطأ » . ولكننا جميعا نعلم أن هذه الحوادث القديمة كانت الجراثيم الأولى للمضاعفات التى مزقت كيان فلسطين ودمرت وجودها !

١٤
حصار الاستعمار

وأعود الى الذى كنت أقوله من أن الاستعمار هو القـوة الكبرى التى تفرض على المنطقة كلها حصارا قاتلا غـير مرئى ؛ أقوى وأقسى مائة مرة من الحصار الذى كان يحيط بخنادقنا فى « الفالوجة » وبجيوشنا وبحكوماتنـا فى العواصم التى كنـا تتلقى منها الأوامر !

١٥
كفاح عربى مشترك

ولقد بدأت بعد أن استقرت كل هذه الحقائق فى نفسى ، أومن بكفاح واحد مشترك وأقول لنفسى :

ـ مادامت المنطقة واحدة ، وأحوالها واحدة ، ومشاكلها واحدة ، ومستقبلها واحد ... والعدو واحدا مهما حاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة ـ فلماذا تتشتت جهودنا ؟

ثم زادتنى تجربة ما بعد ثورة ٢٣ يوليـو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته .

فلقد بدأت خبايا الصورة تتكشف ، والظلام الذى كان يحيط تفاصيلها تنقشع .

وأعترف أنى كذلك بدأت أرى العقبات الكبرى التى تسد الطريق الى الكفاح الواحد ، ولكنى بدأت أومن بأن هذه العقبات نفسها ينبغى أن تزول ، لأنها من صنع ذلك العدو الواحد نفسه .

١٦
سوء الظن هو العقبة !

ولقد بدأت أخيرا فى اتصالات سياسية من أجل توحيد الكفاح مهما كانت وسيلته ، وخرجت بعد شهر من هذه الاتصالات بنتيجة هامة ، هى أن العقبة الأولى فى طريقنا هى « الشك » ؛ وكان واضحا ان بذور هذا الشك قد بذرها فى نفوسنا ذلك العدو الواحد نفسه ؛ لكى يحول بيننا وبين الكفاح الواحد !

وأذكر أنى جلست فى الأيام الأخيرة أتحدث مع أخ من ساسة العرب ؛ وكان معنا زميل له ؛ وبدأت أتكلم ، وبدأ هو يرد على الذى أقوله ؛ وكان يقول العبارة ثم يلتفت الى زميله ليرى أثر الذى يقوله فى وجهه ، بدل أن يحاول استكشاف أثره فىّ أنا .

وبدأت أقول له : تغلب على كل ما فى نفسك من شكوك ، وقل لى كل ما فى قلبك ، وانظر الىّ وفى عينى ولا تدر وجهك !

ولست أريد بذلك أن أهون من أمر العقبات التى تحول بيننا وبين توحيد الكفاح ، فلا شك أن بعضها معقد تمتد أصوله الى

طبيعة البيئة وظروف شعوبها التاريخية والجغرافية ؛ ولكن المؤكد أنه يمكن مع شىء من المرونة القائمة على بعد النظر ، لا على التفريط ، ايجاد الخط الذى يستطيع الجميع أن يقفوا فيه ، بلا تحرج ، وبلا عنت ، لمواجهة الكفاح الواحد .

١٧
نحن اقوياء ...

ولست أشك دقيقة أن كفاحنا الواحد يمكن أن يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذى نريده لها وتتمناه .

ولسوف أظل دائما أقول اننا أقوياء ولكن الكارثة الكبرى أننا لا ندرك مدى قوتنا !

اننا نخطىء فى تعريف القوة ؛ فليست القوة أن تصرخ بصوت عال ، انما القوة أن تتصرف ايجابيا بكل ما تملك من مقوماتها .

وحين أحاول أن أحلل عناصر قوتنا لا أجد مفرا من أن أضع ثلاثة مصادر بارزة من مصادرها يجب أن تكون أول مايدخل فى الحساب .

(أ) أول هذه المصادر أننا مجموعة من الشعوب المتجاورة ، المترابطة بكل رباط مادى ومعنوى يمكن أن يربط مجموعة من الشعوب ، وأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة

انبعثت فى جوها الأديان السماوية المقدسة الثلاثة ، ولا يمكن قط اغفالها فى محاولة بناء عالم مستقر يسوده السلام .

هذا هو المصدر الأول .

(ب) أما المصدر الثانى فهو أرضنا نفسها ومكانها على خريطة العالم ، ذلك الموقع الاستراتيجى الهام الذى يعتبر بحق ملتقى طرق العالم ، ومعبر تجارته ، وممر جيوشه .

(ج) يبقى المصدر الثالث ، وهو البترول الذى يعتبر عصب الحضارة المادية ، والذى بدونه تستحيل كل أدواتها — المصانع الهائلة الكبيرة لكافة أنواع الانتاج ، وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو ، أسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب أو الغواصة المتسترة تحت أطباق الموج — تستحيل كلها قطعا من الحديد يعلوها الصدأ لا تنبعث منها حركة ... أو حياة .

١٨

اثر البترول فى السياسة الدولية

وبودى لو وقفت قليلا عند البترول . فلعل وجوده كحقيقة مادية تقررها الاحصائيات والأرقام يصلح ليكون نموذجا للمناقشة فى أهمية مصادر القوة فى بلادنا .

ولقد قرأت أخيرا رسالة طبعتها جامعة شيكاغو عن ظروف البترول ، وبودى لو كان لكل فرد من أفراد شعوبنا أن يقرأها ويتدبر معانيها ويسرح بفكره فى المعنى الكبير الكامن وراء أرقامها واحصائياتها (١) .

١٩
البترول فى البلاد العربية

* تقرر هذه الرسالة مثلا أن العمل لاستخراج بترول البلاد العربية لا يتكلف كثيرا من المال .

لقد صرفت شركات البترول ٦٠ مليونا من الدولارات فى كولومبيا ابتداء من سنة ١٩١٦ ولم تعثر على قطرة زيت الا فى سنة ١٩٣٦ .

وصرفت هذه الشركات ٤٤ مليونا من الدولارات فى فنزويلا ولم تحصل على قطرة من الزيت الا بعد مرور ١٥ سنة .

وصرفت هذه الشركات ٣٩ مليونا من الدولارات فى جزر الهند الهولندية وأخيرا عثرت على الزيت .

وكانت النتيجة الأخيرة التى قررتها هذه الرسالة فى هذا الموضوع :

---

(١) انظر كتاب « البترول والسياسة العربية » من مجموعة « اخترنا لك »

أن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا هو ٧٨ سنتاً •

وان رأس المـال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا الجنوبية هو ٤٣ سنتا •

وان رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى البلاد العربية هو ١٠ سنتات •

* ان عاصمة انتاج البترول فى العالم قد انتقلت من الولايات المتحدة التى استنزفت آبارها وارتفع سعر الأرض فيها وزادت أجور الأيدى العاملة لأبنائها ، الى المنطقة العربية التى ما زالت آبارها بكرا ، والتى ما زالت أراضيها الشاسعة بلا ثمن ، والتى ما زالت يدها العاملة تقبل ما دون الكفاف •

ولقد ثبت أن نصف الاحتياطى المحقق من البترول فى العالم يرقد تحت أرض المنطقة العـربية ، والنصف الباقى موزع بين الولايات المتحدة وروســيا ومنطقة الكاريبى وغيرها من بلاد العـالم •

وثبت أيضا أن متوسط انتـاج البئر الواحدة فى اليوم من الزيت هو :

١١ برميلا فى الولايات المتحدة •

٢٣٠ برميلا فى فنزويلا .
٤٠٠٠ برميل فى المنطقة العربية .

هل أوضحت مدى أهمية هذا العنصر من عناصر القوة ؟
أرجو أن أكون قد وفقت .

واذن فنحن أقوياء ، أقوياء ليس فى علو صوتنا حين نولول ، ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ؛ انما نحن أقوياء حين نهدأ ، وحين نحسب بالأرقام مدى قدرتنا على العمل ، وفهمنا الحقيقى لقوة الرابطة بيننا ، هـذه الرابطة التى تجعل من أرضنا منطقة واحدة لا يمكن عزل جزء منها عن كلها ، ولا يمكن حماية مكان منها بوصفه جزيره لا تربطها بغيرها رابطة .

٢٠

الدائرة الثانية

هذا عن الدائرة الأولى التى لا مفر من أن ندور عليها وأن نحاول الحركة فيها بكل طاقتنا ، وهى الدائرة العربية .

فاذا اتجهت بعد ذلك الى الدائرة الثانية ، وهى دائرة القارة الأفريقية ، قلت دون استفاضة ودون اسهاب : اننا لن نستطيع بحال من الأحوال — حتى لو أردنا — أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق أفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الأفريقيين .

لا نستطيع لسبب هام وبدهي ؛ هو أننا فى أفريقيا (١) .

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا . نحن الذين نحرس
ب الشمالى للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .
ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا فى
اونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق
بة العذراء .

ويبقى بعد ذلك سبب هام ، هو أن النيل شريان الحياة لوطننا
نمد ماءه من قلب القارة .

ويبقى أيضا أن السودان — الشقيق الحبيب — تمتد حدوده
لى أعماق أفريقيا ؛ ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة
وسطها .

والمؤكد أن أفريقيا الآن مسرح لفوران عجيب مثير ؛ وأن
رجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوربية يحاول الآن اعادة تقسيم
ريطتها ؛ ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف أمام الذى
جرى فى أفريقيا ونتصور أنه لا يمسنا ولا يعنينا .

---

(١) انظر الكتب الآتية : من مجموعة « اخترنا لك »
« زعماء العصابات الاستعمارية »
« افريقيا حلم الاستعمار البريطانى »
« اضواء على الحبشة »
« شمال افريقيا فى الماضى والحاضر والمستقبل »
« جنوب افريقيا : جنة البيض وجحيم الملونين »

٢١
معهد الدراسات الأفريقية

ولسوف أظل أحلم باليوم الذى أجد فيه فى القاهرة معهدا ضخما لأفريقيا ، يسعى لكشف نواحى القارة أمام عيوننا ويخلق فى عقولنا وعيا أفريقيا مستنيرا ، ويشارك مع كل العاملين من كل أنحاء الأرض على تقدم شعوب القارة ورفاهيتها .

٢٢
الدائرة الثالثة

ثم تبقى الدائرة الثالثة ... الدائرة التى تمتد عبر قارات ومحيطات ، والتى قلت انها دائرة اخوان العقيدة الذين يتجهون معنا أينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة . وتهمس شفاههم الخاشعة بنفس الصلوات .

ولقد ازداد ايمانى بمدى الفاعلية الايجابية التى يمكن أن تترتب على تقوية الرباط الاسلامى بين جميع المسلمين ، أيام ذهبت مع البعثة المصرية الى المملكة العربية لتقديم العزاء فى وفاة عاهلها الراحل الكبير (١) .

---

(١) توفى الملك عبد العزيز آل سعود ، فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٤ (نوفمبر سنة ١٩٥٣) .

٢٣
حكمة الحج

ولقد وقفت أمام الكعبة وأحسست بخواطرى تطوف بكل ناحية من العالم وصل اليها الاسلام ، ثم وجدتنى أقول لنفسى :

ـ يجب أن تتغيرنظرتنا الى الحج ، لايجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد . أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة •

٢٤
المؤتمر الاسلامى

يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة . ويجب أن تهرع صحافة العالم الى متابعة أنبائه . لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صورا طريفة لقراء الصحف ؛ وانما بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية . ورجال الرأى فيها ، وعلماؤها فى كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ؛ ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا ؛ حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام •

يجتمعون خاشعين ••• ولكن أقوياء ؛ متجردين من المطامع

... لكن عاملين ، مستضعفين لله ... ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم ، حالمين بحياة أخرى ... ولكن مؤمنين بأن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة .

وأذكر أنى قلت بعض خواطرى هذه لجلالة الملك سعود ، فقال لى الملك :

— ان هذه هى فعلا ، الحكمة الحقيقية فى الحج .

وفى الحق أنى لا أستطيع أن أتصور للحج حكمة أخرى .

٢٥

المسلمون اخوة

وحين أسرح بخيالى الى ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا ، وخمسين مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو ونسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون فى باكستان ، وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة — حين أسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج

عن حدود ولأنهم لأوطانهم الأصلية بالطبع ، ولكنه يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة •

* * *

ثم أعود الى الدور التائه الذى يبحث عن بطل يقوم به •••

ذلك هو الدور ، وتلك هى ملامحه ، وهذا هو مسرحه •••

ونحن وحدنا بحكم « المكان » نستطيع القيام به !

دستور الغد

بسم الله الرحمن الرحيم

من السيد وزير التربية والتعليم ، الى السادة المعلمين :

اخوانى المعلمين

لقد تم فى عصرنا هذا حادث تاريخى عظيم ، من حق جيلنا أن يباهى به الأجيال ؛ ذلك الحادث هو توقيع اتفاق الجلاء بيننا وبين بريطانيا ...

والجلاء هو هدف مصر العظيم منذ اثنتين وسبعين سنة ، بل هو هدفها منذ سبع وثلاثين وأربعمائة سنة ، منذ وطئت جيوش الاحتلال العثمانى أرض بلادنا فى سنة ١٥١٧ . فلم تخل أرض مصر من جيش محتل منذ ذلك التاريخ البعيد ؛ فلا مغالاة ان قلنا ان هذا الاتفاق الذى يحقق الجلاء الكامل عن أرض بلادنا ، هو حادث تاريخى عظيم من حقنا أن نباهى به الأجيال ...

وخلال هذه السنين الطويلة التى جثم فيها الاحتلال بأثقاله البغيضة على صدر بلادنا ، لم ينقطع شعبنا الواعى يوما واحدا عن الكفاح للخلاص من الاحتلال وتحقيق الاستقلال الكامل للبلاد ؛ فكم من ضحايا شهداء ، سفحوا دماءهم ، وبذلوا أرواحهم ، فى مقاومة الغاصب المحتل وأعوانه البغاة ، منذ ذلك التاريخ !

كم من الأرواح الطاهرة ، صعدت الى بارئها مستشهدة فى ساحة النضال ، وهى تقاوم الاحتلال العثمانى ، ثم الاحتلال الفرنسى ، ثم الاحتلال البريطانى !

ان هؤلاء الشهداء من آبائنا وأجدادنا ، قد حملونا أمانتهم قبل أن يلفظوا آخر أنفاسهم ، فاليوم قد أدينا لهم الأمانة ، بإجلاء المستعمر الدخيل عن أرضنا ، وتحقيق الاستقلال الكامل لبلادنا ؛ فلم يكن كفاحنا الدامى فى سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم ، الا امتدادا لكفاح أولئك الأجيال المتعاقبة منذ أربعة قرون وبعض قرن ...

وقد يبدو الجلاء فى ذاته شيئا ضئيل القيمة ، اذا لم تتخذه وسيلة لازالة أنقاض الماضى البغيض ورواسبه الخبيثة فى نفوسنا ؛ ولنبنى مستقبل وطننا على دعائم جديدة ...

ان لنا ماضيا حافلا بالمفاخر ، ليس لأمة مثله فى التاريخ القريب ولا فى التاريخ البعيد ؛ ولكن الاحتلال البغيض الذى جثم على صدورنا أربعة قرون وبعض قرن ، لم يترك من ذلك الماضى الا ذكرى : وماذا تنفع الذكرى اذا لم تكن حافزا الى عمل عظيم يصل مفاخر ذلك الماضى بآمال المستقبل ؟

وقد ترك هذا الاحتلال فى نفوسنا آثارا كثيرة ، يجب أن نعمل على ازالتها قبل أن نأخذ فى أسباب العمل لبناء المستقبل الذى يلائم ماضينا ويمتد به فى تاريخ الحضارة ...

ترك فى نفوسنا الخوف ، والضعف ، والأثرة ، والحقد ، وسوء الظن بأنفسنا وبالناس ، والانفرادية التى لا تؤمن بفائدة التعاون فى العمل للخير العام أو الخير الخاص ...

وترك فى نفوسنا الغرور السلبى ، الذى يحمل على المباهاة بلا عمل !

وترك فى نفوسنا التعصب الأعمى ، الذى لا يحمل على الايمان بالنفس بقدر ما يحمل على الكفر بالغير !

وترك فى نفوسنا القدرة على التحليق فى سماوات الأحلام الى آفاق بعيدة ، دون أن نحاول اتخاذ أجنحة تطير بنا حقا وعملا الى تلك الآفاق البعيدة !

وترك فى نفوسنا شهوة التتبع لمساوىء غيرنا ، دون أن نحاول التماس العذر لهم من بعض هذه المساوىء ، أو أن نترفع بأنفسنا عن أمثالها ...

وترك فى نفوسنا الخوف من حمل التبعات ، أو الاستهانة بها ، دون أن نكف لحظة عن الشكوى من عدم اضطلاعنا ببعض التبعات !

وترك فى نفوسنا الخوف من القانون ، أو الاحتيال على التخلص من القانون ، دون أن نحاول ــ بما نملك من سلطة التوجيه ــ أن نقترح القانون الكامل الذى نخضع له جميعا بلا خوف ولا حيلة !

وترك فى نفوسنا أخيرا ، وحدانية وثنية ، تحمل كل واحد منا على الايمان بنفسه ، وسوء الظن بغيره ، والانطواء فى علاقاتنا بالناس على كثير من الخوف والحذر ، ومن الرغبة فى الكيد ، ومن محاولة الاستعلاء والتسلط ، ومن الحرص على انتهاز الفرص !

تلك بعض آثار الاحتلال فى نفوسنا ، لم يكن لنا بدفعها قبل اليوم حيلة ؛ لأن الاستعمار الأجنبى ، والطغيان الداخلى كانا

يعملان متعاونين على اشاعة هذا السوء ؛ أما اليوم وقد جــلا الاستعمار عن بلادنا أو كاد : وتحطم الطغيان فليس له معاد ، وصار كل مواطن حر النفس والضمير والارادة ؛ فاننا نستطيع أن نحاول بناء مستقبل وطننا على أساس جديد ..

وأول الأساس أن نزيل ما تراكم فى نفوسنا من هذه الأنقاض ، لنبنى على أرض نظيفة ..

هذه المعانى جميعا تمثلت فى نفس الرئيس جمال عبد الناصر ؛ فى اللحظة التى أمسك فيها بالقلم ليوقع اتفاق الجلاء ...

أحس ساعتئذ أنه فى لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة ، تفصل بين عهدين يجب أن يكون البون بينهما بعيدا وشاسعا ، لتكون مصر الغد غير مصر اليوم : وليكون مستقبلها الباهر امتدادا لماضيها المجيد ...

وبوحى هذه المعانى جميعا . قال جمال عبد الناصر كلمته التاريخية العظيمة ؛ التى يجب أن تكون دستورا لكل معلم ومتعلم والتى من أجلها أتحدث الى كل منكم هذا الحديث ؛ لأنكم بناة الجيل الناشىء الذى تعدونه لحمل تبعات الغد ...

وأول تبعات الغد أن يؤمن ذلك الجيل الناشىء بدستور الغد ، كما رسمه جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى ..

وعليكم أنتم — يا اخوانى المعلمين — هذه الأمانة ، وأنتم أهل لحملها ..

كمال الدين حسين

وزير التربية والتعليم

خطاب

الرئيس جمال عبد الناصر

لمناسبة توقيع اتفاق الجلاء

في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤

أعده لتلاميذ المدارس

محمد سعيد العريان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المواطنون ...

لعل أجدادنا يتطلعون الينا من المثوى الذى تسكنه أرواحهم ، فى هذا اليوم ، برضاً وفخر ...

ولعل أحفادنا الذين ما زالوا فى مجاهل المستقبل ، سوف يعودون ، بعد مئات من السنين ، الى ذكرى هذا اليوم باعزاز وتقدير ...

لعل هؤلاء وهؤلاء : الأجيال التى مضت ، والأجيال التى ستجىء ، تلتقى نظراتهم عند هذا اليوم ، يباركون الجهد الذى قام به جيلنا ، استكمالا لكفاح من ذهبوا ، وتمهيدا لكفاح القادمين ...

لقد شاءت ارادة الله أن تستقر على أكتافنا أمانة الماضى والمستقبل ، وكانت رعايته لنا عونا على الحاضر ...

لقد حاولنا أن نرتفع لمستوى ماضينا العظيم ، واستطعنا أن ندرك أن هذا الماضى لا قيمة له اذا كانت أمجاده تاريخا يروى ، ينسب خيالنا اليه ، وتقصر أعمالنا عن الوصول الى مستواه ...

فانه لا فائدة من الأمجاد الماضية ، اذا لم تكن معانيها خصائص كامنة فى نفوس شعبنا ، تطبع كفاحه عبر الزمن ، وتلازم جهاده جيلا بعد جيل ...

هذا هو ايمانى بالماضى ...

وهو فى نفس الوقت ايمانى بالمستقبل ..

أيها المواطنون ...

ان يومنا الحاضر يوم عظيم ، يرتفع الى مستوى الماضى العريق ، ويغطى بشائر الأمل فى مستقبل لا تحده آفاق .

أيها المواطنون ...

ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة توشك أن تبدأ ...

هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبن وطننا من جديد بالحب والتسامح والفهم المتبادل ...

اللهم أعطنا المعونة الحقة ، كى لا يستخفنا النصر وتدور رءوسنا غرورا من نشوته ...

اللهم أعطنا الأمل الذى يجعلنا نحلم بما سوف نحققه فى الغد ، أكثر مما يجعلنا نفاخر بما حققناه فى الأمس واليوم ...

اللهم أعطنا الثقة فى أنفسنا ، لنرى أننا على بداية الطريق ، وأن الشوط أمامنا طويل وشاق ...

اللهم أعطنا الشجاعة ، لنستطيع أن نتحمل المسئوليات التى لا بد أن نتحملها ، فلا نستهين بها ولا نهرب منها ...

اللهم أعطنا القدرة على أن نواجه أنفسنا ، ونتقبل أن يواجهنا الآخرون بالحق والعدل ...

اللهم أعطنا القوة ، لندرك أن الخائفين لا يصنعون الحرية ، والضعفاء لا يخلقون الكرامة ، والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء ...

أيها المواطنون : الله فى عوننا ، وهو ولى التوفيق .

١

أيها المواطنون . . .

لعل أجدادنا يتطلعون إلينا من المثوى الذى تسكنه أرواحهم ، فى هذا اليوم ، برضاً وفخر . . .

* * *

يشير الرئيس جمال عبد الناصر الى كفاح الأجيال الماضية فى سبيل تحقيق الجلاء ، ويتخيل أرواح الأجداد ترفرف اليوم فوق رءوسنا ، راضية معجبة مسرورة بهـذا الانتصـار الذى أحرزه أبناؤهم بعد طول الكفاح ...

٢

ولعل أحفادنا الذين ما زالوا فى مجاهل المستقبل ، سوف يعودون . بعد مئات من السنين . إلى ذكرى هذا اليوم بإعزاز وتقدير . . .

* * *

ويتخيل ذكرى هذا اليوم السعيد ، عيدا من أعياد المستقبل ، يحتفل به أبناؤنا وأحفادنا الذين لم يولدوا بعد ، لأنه اليوم الذى

بدأنا فيه مرحلة جديدة ومجيدة من تاريخنا ، فهو يوم خليق بكل اعزاز وتقدير ...

٣

لعل هؤلاء وهؤلاء : الأجيال التى مضت ، والأجيال التى ستجىء ، تلتقى نظراتهم عند هذا اليوم ، يباركون الجهد الذى قام به جيلنا ، استكمالا لكفاح من ذهبوا ، وتمهيدا لكفاح القادمين . . .

* * *

يعنى أن هـذه اللحظة ، هى نقطـة الانتقال من الماضى الى المستقبل ، وعندها تلتقى نظرات الأجيـال الماضية ، التى فرحت بتحقيق أمانيها ، والأجيال المستقبلة ، التى مهـد لها هـذا النصر سبيل العمل لتحقيق أمانى جـديدة ، ذلك لأن الاستقلال الذى حصلنا عليه بتوقيع هذا الاتفاق ، لم يكن غاية فى ذاته ؛ ولـكنه الباب الذى ننفذ منه الى طريق طويل شاق ، يجب أن نمضى فيه بجد وعزم وصبر ، وأن تمضى فيه الأجيـال القادمة بعـدنا بجد وعزم وصبر كذلك ، لنحقـق لبلادنا العزة والكرامة ، ونحقق لقومنا الرخاء والأمن والطمأنينة ، ونبلغ بأمتنا المكانة التى تلائمها بين الأمم العظيمة المتحضرة ، وانها لغـايات بعيدة ، تقتضينا كفاحا دائبا ومتصلا على تعاقب الأجيال ، لكى نجنى ثمرة الاستقلال الذى ظفرنا به ، ولا نعتبره غاية نقف عندها مهللين فرحين كأننا قد بلغنا به كل الأمانى ...

٤

لقد شاءت إرادة الله أن تستقر على أكتافنا أمانة الماضي والمستقبل ، وكانت رعايته لنا عوناً على الحاضر ..

* * *

يشير الرئيس فى هذه الفقرة إلى :

(ا) الأمانة التى ألقتها الأجيال الماضية على كواهلنـا ، وهى أمانة السعى لتحقيق الاستقلال الذى كافحوا فى سبيله حتى ماتوا . وقد حملنا هذه الأمانة أوفياء صادقين ، حتى أديناها لهم كاملة بتحقيق الاستقلال .

(ب) أمانة المستقبل ، وهى تثبيت دعائم هذا الاستقلال ، بإعادة بناء مصر على أساس جديد ليكفل لهـا القوة والهيبة ، كما يكفل لها الرخاء والأمن فى الداخل والخارج ...

(جـ) أن الأعمال الجليلة التى قام بها الجيل الحاضر ـ فحطم بها الطغيان والطغاة ، وقضى على الاقطاع والفساد ، وحدد نهاية الاحتلال ، ورد السيادة الى الشعب ـ كانت ملحوظة بعناية الله وتوفيقه ، فهو الذى أعان عليها ، وهيأ الأسباب نجاحهـا ، تحقيـقا لوعده سبحانه : « ولينصرنّ الله من

٥

لقد حاولنا أن نرتفع لمستوى ماضينا العظيم ، واستطعنا أن ندرك أن هذا الماضى لا قيمة له إذا كانت أمجاده تاريخاً يروى ، يشب خيالنا إليه ، وتقصر أعمالنا عن الوصول إلى مستواه . . .

يقول الرئيس : اننا تطاعنا الى ماضينا العظيم ؛ ووازنا بينه وبين حاضرنا الماثل ، فوجدنا بونا بعيداً وشاسعاً بين ذلك الماضى وهذا الحاضر ، فشعرنا بالأسف والمرارة ، وقلنا لأنفسنا : ماقيمة ذلك الماضى اذا لم يكن الحاضر دليلا عليه وصورة منه ؟ ومافخرنا به اذا لم تكن بنا قوة لنرتفع بحاضرنا الى مستواه ؟ أن قيمة ذلك الماضى على مافيه من عظمة ومجـد ، لاتزيد على قيمـة القصص وحكايات السمر التى نسمعها ، فيتعلق بها خيـالنا ولا نستطيع الوصول الى حقيقتها أو الارتفاع الى مثل مستواها ، فهى أقوال تروى ، وعبارات تتردد بين الأفواه والآذان ، بلا أثر ولا نتيجة !

٦

فإنه لا فائدة من الأمجاد الماضية ، إذا لم تكن معانيها خصائص كامنة فى نفوس شعبنا ، تطبع كفاحه عبر الزمن ، وتلازم جهاده جيلا بعد جيل . . .

يعنى أن الأمجاد الماضية لاتستحق أن يباهى بهـا شعب من

الشعوب ، الا اذا استطاع أن يثبت أن هـذه الأمجاد أثر لازم من آثار خصائص باقية فيـه ، تتوارثها أجياله جيلا بعد جيل ، ففى كل جيل منها طاقة متجددة ، تتيح له أن يصـنع أمجادا حاضرة ، تشبه أمجاده الماضية ، لأنه هو هو ، فى الحاضر كما كان فى الماضى ، بادراكه ، ووعيه ، وعزيمته ، وقدرته على احـداث الأثر فى كل زمان ومكان .

٧

هذا هو إيمانى بالماضى . . .

وهو فى نفس الوقت إيمانى بالمستقبل . . .

يعنى الرئيس أن اعتزازه بماضى أمتنا المجيد ، وايمانه بعظمته ، هو الذى دفعه الى المحاولة لتحقيق ذلك الماضى واثبات عظمته ، باظهار قدرة الأمة على صـنع أمجاد جـديدة تلائمه ؛ فكان ايمانه بذلك الماضى المجيـد ، سبيلا الى ايمانه بالمستقبل ، وحافزا الى العمل له .

٨

أيها المواطنون . . .

إن يومنا الحاضر يوم عظيم، يرتفع إلى مستوى الماضى العريق ، ويعطى بشائر الأمل فى مستقبل لا تحدّه آفاق .

يقول الرئيس : ان الغاية العظيمة التى حققناها اليوم ، باكراه بريطانيا على الجلاء عن أرضنا ، قد رفعت قدرنا الى المستوى الذى يلائم عظمة ماضينا ؛ فمن حقنا منذ اليوم أن نفاخر به ؛ كما فتحت لنا الطريق الى مستقبل عظيم ، بعيد الأهداف ، لا تعترضه حدود ولا قيود ؛ لأن الاستعمار الذى كان يقيم لنا العقبات فى كل خطوة نخطوها ، قد ذهب الى غير رجعة ، فلاعائق لنا بعد اليوم عن التقدم .

٩

أيها المواطنون

إن مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة توشك أن تبدأ . . .

هنا يدق الرئيس الناقوس ، لينبه المواطنين الى أن وقت العمل قد حان ، لتثبيت دعائم الاستقلال ، وازالة أنقاض الماضى ، ووضع أسس المستقبل ؛ فاننا لم نطلب الحرية والاستقلال ونبذل

فى سبيلهما ما بذلنا من الأرواح لنفقدهما غدا ، أو لنباهى بأننا أحرار ومستقلون ؛ وانما طلبناهما وبذلنا فى سبيلهما ما بذلنا ، لنظل أبدا أحرارا ومستقلين ، ثم ليكون استقلالنا وحريتنا وسيلة لتحقيق مستقبل أسعد وأمجد ؛ ولن يتحقق لنا هذا كله بغير الكفاح الدائب المتصل ، والعزيمة الماضية الصابرة .

١٠

هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبن وطننا من جديد ، بالحب والتسامح والفهم المتبادل . . .

هذه قواعد العمل للمستقبل كما يرسمها الرئيس ، وأولها الاتحاد وطرح أسباب الخصام والفرقة التى كانت سببا لاخفاق كل جهودنا الماضية ، والتعاون الايجابى على البناء لانشاء وطن جديد يعمل أبناؤه يدا واحدة لهدف واحد ، لا متعادين ولا متدابرين ولا فى قلب أحدهم على أخيه ضغينة أو موجدة ؛ لأن دستورهم جميعا هو الحب والتسامح والتماس المعذرة واطراح سوء الظن ، ليكون كل مواطن لكل مواطن أخا وجارا ، ومعينا فى البأساء والشدة ...

لقد كانت الفرقة سببا لكل مآسى الماضى ؛ ولن نستطيع أن نتقدم لنبلغ مكانتنا ، ونفوسنا مشحونة بأسباب الحقد والبغضاء والكراهية ...

١١

اللهم أعطنا المعرفة الحقة ، كى لا يستخفنا النصر وتدور رءوسنا غروراً من نشوته . . .

يشير الرئيس الى أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وأوله أن يعرف كل مواطن نفسه ؛ فلا ينخدع ولا يغتر ، ولا يستخفه السرور ونشوة الظفر فيقعدان به عن الكفاح للمستقبل ، وهى اشارة مهذبة الى بعض رواسب الماضى فى نفوسنا ، يدعو الله أن نتخلص منها : لننكشف الغشاوة عن قلوبنا وعقولنا ، وتتبين حقيقة أنفسنا وظروفنا ، وحاجاتنا ، ومدى قدرتنا على الانتاج والعمل لخير بلادنا ؛ غير مغرورين ولا مخدرين بنشوة النصر ...

١٢

اللهم أعطنا الأمل الذى يجعلنا نحلم بما سوف نحققه فى الغد ، أكثر مما يجعلنا نفاخر بما حققناه فى الأمس واليوم . . .

يريد الرئيس أن تكون أهداف المستقبل ماثلة دائما أمام عيوننا ، فى النوم واليقظة ، نعمل لها بقوة ، ونفكر فى أسباب تحقيقها بعزيمة ، ونلتمس كل الوسائل لبلوغها بصبر ، غير مكتفين

عما حققناه منها ، ولا قانعين بالأمانى الحالمة ، التى تحلق بنــا فى السماوات البعيدة ، فننتشى ونتلذذ ، دون أن نأخذ أهبتنا للعمل على تحقيقها .

يريد أن تكون آمالنا ايجابية فعالة ، تصــور لنــا المستقبل بأسبابه ووسائله والطريق الذى يوصل اليه ، ليكون تصوره أول مرحلة من مراحل العمل له ، لا أن تكون آمالا مخدرة . تبعث النشوة وتغرى بالنوم !

١٣

اللهم أعطنا الثقة فى أنفسنا ، لنرى أننا على بداية الطريق ، وأن الشوط أمامنا طويل وشاق . . .

يبتهل الرئيس الى الله ، أن نتخلص من سوء ظننا بأنفسنا ، وسوء ظن بعضنا ببعض ، وأن يثق كل منا بنفسه ، ويثــق كل مواطن بمواطنيه ، وأن نستيقن ما علينا من واجب لبلادنا يقتضينا أن نبذل الجهد الطويل الشاق ؛ لنمضى جميعا الى غاياتنا متعاونين ، مؤمنين بأنفسنا ، وبحق بلادنا علينا ، وبقدرتنا على العمل ، وعلى بلوغ أبعد الغايات ، بالتعاون ، والصبر ، والكفاح المتصــــل ؛ فليس فى الأرض قوة تعين على بلوغ المستحيلات ، غير الثقــــة

بالنفس ؛ وغير التعاون الذى يقوم على أساس ثقة كل فرد فى الجماعة بكل فرد فى الجماعة ...

١٤

اللهم أعطنا الشجاعة ، لنستطيع أن نتحمل المسئوليات التى لا بد أن نتحملها ، فلا نستهين بها ولا نهرب منها . . .

ويمضى الرئيس فى ابتهالاته الى الله ، ليخلصنا من رواسب الماضى . فلا نخاف المسئولية وتتجنبها ، ولا نتواكل فيلقى كل منا حمله على أخيه ، استهانة بالواجب أو فرارا من أثقاله ؛ بل يؤدى كل منا ما عليه من واجب لوطنه ، كأنه واجبه وحده دون سائر المواطنين .

١٥

اللهم أعطنا القدرة على أن نواجه أنفسنا ، ونتقبّل أن يواجهنا الآخرون بالحق والعدل . . .

ويبتهل الى الله أن يخلصنا من الغرور السلبى الذى يرتفع بنا فوق أقدارنا الحقيقية ، ومن ضعف الثقة الذى يحملنا على الجبن عن مواجهة أنفسنا بعيوبنا ، وعلى التغاضى عما نحس فى نفوسنا أو فى أعمالنا من النقص ، وعلى ضيق الصدر عن استقبال ما يوجهه الينا الآخرون من نقد أو من موعظة ...

١٦

اللهم أعطنا القوة ؛ لندرك ان الخائفين لا يصنعون الحرية ، والضعفاء لا يخلقون الكرامة ، والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء . . .

ويبتهل الى الله أن يخلصنا من الخوف ، ومن الضعف ، ومن التردد ؛ لنكون أقوياء ، شجعانا ، ذوى ارادة وعزيمة وحزم فى كل ما نحاول من عمل ؛ ولنظل أبدا أحرارا ، كرماء على أنفسنا وعلى الناس ، بنائين ، نحسن بناء مستقبل الوطن ونرتفع به ونزيده كل يوم متانة وقوة .

ان الخوف ، والضعف ، والتردد ، والغرور ، والهرب من التبعات ، وضعف الثقة بالنفس ، والاستنامة الى الأمانى بلا عمل ، والجهل بأنفسنا وبما حولنا ومن حولنا من الأشياء والناس ، واحتقان الأحقاد والضغائن فى طوايا الصدور ، وسوء ظن بعضنا بنيات بعض — هذه الآفات جميعا هى بعض رواسب الاستعمار فى نفوسنا ، وهى آثار الاحتلال الأجنبى والطغيان الداخلى فى أخلاقنا العامة ؛ وقد تحطم الطغيان ، وجلا الاحتلال ، وانتهى الماضى ، ونحن اليوم على عتبة المستقبل ؛ فيجب أن نطرح عن كواهلنا

كل آثار ذلك الماضى وننفض غباره ، لنبدأ المرحلة الجديدة من تاريخنا بنفوس جديدة ، وأخلاق جديدة ، وعزم جديد ...

١٧

أيها المواطنون

الله فى عوننا ، وهو ولىُّ التوفيق

قد عرفتم أيها المواطنون ما عليكم من واجب فى هـذا العهد الجديد ، وما فى طريقكم من عقبات ومشـاق ، فاطلبـوا العون والتوفيق من الله ، مؤمنين به ، معتمدين عليه ، واثقين بأنه دائما مع العاملين المخلصين .

على هذه المبادىء الجديدة يجب أن يربى الجيل الناشىء ، وأن يؤمن بها ايمانه بالله ، وبالوطن ...

ان الغد لهم ، فليحملوا أمانته منذ اليوم ؛ وأول أمانته أن يحفظوا دستور الغد الذى وضعته الثورة المصرية للأجيال ، وهو دستور الحق ، والعدل ، والحرية ، والكرامة الانسانية

8
053